الشاعر الياس ابو شبكة

بقلم خضر عباس الصالحي

لست هنا بمعرض دراسة شعر الياس أبو شبكة والتحدث عنه بإسهاب، وان كان بحاجة الى المزيد من جهود الكتاب الموهوبين لاعلاء شأنه ووضعه في المقام الذي يستحقه بعد ان استجدت في السنوات الأخيرة مدارس شعرية تتبنى اتجاهات جديدة في الشعر العربي المعاصر تمثل الغلو في الرمز، والافراط في الخيال ، وقد أصبح الفرد العربي لا يطيق هضم هذا اللون من الغموض الذي ملت الانسانية سماعه حيث تسوده الفوضى الخيالية التي لا تستشف غالباً واقع الحياة التي نكتوي بنار أتراحها ، ونضطرب في احشائها ...

ولعل الافادة من دراسة شعر الياس ابو شبكة ، والاستيعاب الدقيق لأطراف مواضيعه لا تحصى ، فهو شاعر رقيق العاطفة ، رخيم الاداء ، صادق اللهجة ، غني التعبير في الشعر ، مشبع بالمعاني العميقة والوجدانية الذاتية ، زاخر بالرعشات الشعورية الجامحة . يصوّر بدقة بالغة الجو الذي يستأثر باهتمامه ، وتحتفل اشعاره بالروح الانسانية الشفافة فقد قال في الفلاح ...

وتناءت عيناه في الشفق الأخضر — فانحطتا على فلاح
يحرث الأرض هادئاً مطمئناً — فيشق الأتلام كالجراح
قال : طوبى له وطوبى لنفسه — ما ألذ الصفاء في ماء كأسه
ما أعز الاعشاب حول سواقيه — وأغناه في قناعة بؤسه
لا يرى غير حقله ان أطل الفجر — أو أقبل المساغير انه
جاهل يجهل القراءة في الاسفار — لكنه حكيم بفأسه
غده مثل يومه ليس يغشاه شقاء — ويومه مثل أمسه

ليت لي قلبه الخلي — ليت في الروح لي تقاه
ليت في مقلتي لي — مقلتيه وحسرتاه
فأرى الصبح ينجلي — عن شعاع من الحلي
ذهبيٍّ مكلل — أرسل الطرف في السما
ان فيها لمن سما — بالتقى صورة الاله

وهو معني بتصوير التجارب الحية وطريقة التعبير عنها فيصدر عن وعي ذاتي في شعره الذي يعبر عن العاطفة ويقتات بها . فقال :

إجرح القلب واسق شعرك منه — فدم القلب خمرة الأقلام
مصدر الصدق في الشعور هو القلب — وفي القلب مهبط الالهام
واذا انت لم تعذب وتغمس — قلماً في قرارة الآلام
فقوافيك زخرف وبريق — كعظامٍ في مدفنٍ من رخام
رب جرح قد صار ينبوع شعر — تلتقي عنده النفوس الظوامي
وزفير أمسى اذا قدسته الروح — ضرباً من أقدس الانغام
وعذاب قد فاح منه بخور — خالد في مجامر الأحلام

ويمثل الياس أبو شبكه أعمق امتداد لشعر الغزل فقد عبّر عن الحب بإخلاصٍ ، وصوّر التجربة بصدقٍ ، وفي صياغةٍ شعرية موّفقه بكلماته المعبرّة ، فقد وعى قيمة اللفظ وما يحتويه من ايقاع موسيقي مع الهزة الراقصة في اوزانه التي تتحسس بها وقع الاهتزازات العاطفية اكثر تأصلاً مع توزيع ظلاله النفسية في تعبيراته الانسانية التي وجد فيها مجالاً خصباً للتنفيس عن طاقته الشعرية واخصاب عبقريته الفذة ، وضرب على الأوتار التي تحرك في النفوس المشاعر وشديد الحساسية ..

ولو ان القلوب لم تفن في الحب — لما أورق الجمال وغنى

وقال :

هم يعشقون بشعرهم — أما أنا فبأدمعي
بدمي بأعراقي بروحي — بالشباب الممرع

وقال :

وذوبت خمري في اناء من الهوى — لأشربها ممزوجةً ببكائي
فشاهدت قلبي في انائي ضاحكاً — به دعة عذراء في خيلاء
فأدنيته من مرشفي وشربته — وما زال ماء الحب ملء انائي

وقال :

يا حب كلي شباب — كلي ندى وملاب
على صعيدي جنان — وفي سماء رباب
لولاك جفت عروقي — وساد روحي الضباب
ولم يكن لي شعر — ولم تكن آداب

وكان الحب والخمر والشعر ثالوثه البكر الذي عاش احاسيسه وكشف فيه جانباً من حياته الحافلة بالآلام والشجون ، وكانت غلواء المرأة الاولى التي تفتح لها قلبه المتيم .. وقال فيها :

غلواء ما احلى اسمها المعطارا — صبية تغبطها العذارى
لا يستطيع شاعر ان يبدعا — قصيدة أجمل منها مطلعا
تصوّر الازهار في نوّار — تنعشها ارتعاشة الانوار
تصوّر النسيم في الصباح — يهز ساق الفل والأقاح
تصور السماء في روائها — كأنها الأحلام في صفائها
تصور الاعشاب في الجبال — تحلم في مهدٍ من الظلال
تصور الرابية الجميله — لوّنها ظل من الخميله
وانظر اخيراً نظرة سريعه — مختلف الجمال في الطبيعه
تعرف إذاً معرفة علياء — كيف السماء ابدعت غلواء

وقال :

رب صنها وابقها لي ظلّا ... من حنان يمتد في صحرائي
هي يا رب فلذة منك في الحب ... جرت من دموعك الخضراء

وقال :

أيحق لي في غيرها الغزل ... وعلى فمي من قلبها قبل
وكأنني في عينها لهب ... بفؤادها الولهان متصل
يبدو رماداً حين تلحظها ... عين وحين تغيب يشتعل
يا خير من حنت لها مهج ... وأحب من غزلت لها مقل
أفرغت عطرك في دمي فعلى ... شعري عبير منك منهمل
لولاك جف الشعر في كبدي ... وحييت لا حب ولا أمل

وقال :

أحس خيالي في خيالك جارياً ... وروحك في روحي وعقلك في عقلي
كأنك شطر من كياني اضعته ... ولما تلاقينا اهتديت الى أصلي

وقال :

احبك فوق ما تسع القلوب ... وخيّل شاعر ووعى حبيب
لأنت من السماء سحاب عطر ... يسح عليّ منك ندى عجيب
أحسك بي فعرقك صار عرقي ... وما لقذى بعرقينا دبيب
فنحن اذا التقى صدر وصدر ... لنا فكما التقى كوب وكوب
وان مزجت بنا جمر وخمر ... تمازج في الندى نسم وطيب
بنا نار وليس بنا هشيم ... وعاصفة وليس لنا هبوب

وقال :

وحق روحك يا غلوا ولو غدرت ... بي الليالي وأصمت قلبي النوب
ان كنت في سكرة او كنت في دعر ... ومر طيفك مر الطهر والأدب

ولم تكن غلواء هي المرأة الوحيدة التي أحبهـا الياس ابو شبكه، فهناك ثلاث نساء فاتنات لعبن دوراً هاماً على مسرح حياته الطافحة بالأحداث الغرامية المثيرة وكن ينبوعاً ثراً لشاعريته الفياضة ، يروي منه غلة قلبه الصادي، ويطفيء ضرام روحه الظاميء . ولكن غلواء ظلت هي الحبيبة المفضلة التي الهمته اكثر قصائد دواوينه الشعرية . وافرد لها جزءاً كبيراً منها حيث تتميز بوفرة الاحساس ، وحرارة العاطفة . وتلوّن الصور الشعرية بظلال الطبيعة الموشاة بالاحلام والرؤى ...

إن كل من يدرس شعر الياس أبو شبكه تتملكه الدهشة لومضاته الذهنية الوهّاجة . وتنتزع اعجابه دقة معانيه العميقة وروعة اخيلته المجنحة ، ويخلب لبه سحر ابداعـه في استعمال الالفاظ ومحافظته في اغلب الاحيان على الاهتزاز في الاوزان المنغومة ، مع خلق جو شعري رائع ، تلتهب به العواطف ، وتحتشد فيه الافكار ، وتصطرع حوله الاهواء . وتنبثق منه الاضواء البراقة ، وتنساب عليه جراح الذكرى وشهوات الجسد ، كل هذه الالوان المشرقة يصبها في أسلوب شعري رصين ، وفي قالب فني خلاب . لا يسع كل قاريء ذي فكر ثاقب ، ووعي حصيف الا ان يرفع الياس أبو شبكة الى ذروة الكمال ويضعه في مصاف العباقرة الذين خلفوا لامهم ثروة فكرية بلغت حد الروعة ، وأخذوا بيد شعوبهم نحو مراقي المجد الحضاري . وأشاعوا فيها روح التذوق الفني واستكناه اسراره الغامضة ، وقد حلّق في المجالات الفكرية ما شاء له التحليق وخلف وراءه ظهرياً الكثير من الادباء ملتصقين بالارض على الرغم من اتساع آفاق الشعر العربي المعاصر ، وتعدد مذاهبه المستحدثة وتنوع اهدافه النبيلة .

ولا يلبث القاريء المرهف الشعور الا ويذرف الدموع السخينة ويستبد به الحزن ، ويعتصر قلبه الالم، عندما يستقصي حياة الياس أبو شبكة ، فان هذا الاديب النابغ عاش عمره كله متمرغاً تحت وطأة الشقاء والحرمان ، متقلباً على اشواك الفاقة والعوز،وقد كان في نعومة اظفاره يوم اغتيل ابوه في الاراضي المصرية على ايدي فئة مجرمة من اللصوص وقطاع الطرق ، استحلت دمه الزكي ، وازهقت روحه البريئة ، وابتزت ماله في شكل بشع تعافه الضمائر النقية ، والوجدانات الابية ، التي تحل المثل الانسانية والقيم الاخلاقية مكاناً مرموقاً ، ومنذ تلك اللحظة الحاسمة طفق الياس ابو شبكه يتلقى ضربات القدر بغير انقطاع . ويفتح صدره المثخن بالجراح لسهامه ، ولم يتركه ينعم بجمال الحياة ، ويستمريء اطايبها ، ويستسلم الى الدعة والهدوء ، ولم يتخلص من عناء الارزاء وشرورها الا بعد ان مات متأثراً بمرض سرطان الدم فخلع عنه ثوب الآدمية ليعود ثانية الى الارض الطيبة وهي أمه الحنون التي ضمته بين ذراعيها الى الابد !

أليس من القسوة والاجحاف ان يتحمل هذا الشاعر العبقري صنوف العذاب . وتفعم كأس حياته بالمرارة ، وتتألب عليه قوى الفقر والاملاق في قطر واع كلبنان الذي يسمى بلد الاشعاع الفكري ، فيضطر هذا المفكر العملاق ان يكسب قوته اليومي عن طريق المساهمة في تحرير الصحف المحلية فيهدر أوقاته الثمينة في أمور لا تمت الى الانتاج الادبي الرفيع بصلة ، وتلجئه شواغله المختلفة الى مجانبة قول الشعر أمداً طويلاً ، ولا يعاوده الحنين الى النظم إلا فترات قصار .

بنفســـج

بنفسجٌ بنفسجُ
بقمر متوجُ
تحمله الجنة ما بخورها المموّج ؟
أغفى على ....
هف الى ....
اي غيوب تلبج
بنفسجٌ بنفسجُ .
مساكب اوراقها من سندس معنبر
في ظلها شط روى عن حلمها المخضوضر
لعالم كأنه في البال لما يخطر
ينشق عن ضبابه كون مريد الصور
اذ يرتمي فيه شهاب من ذهول ادعجُ
يحط في معروشة فالليل فجر ابلج
والصيف يا بنفسجي اشواقه توهج

بنفسج فصله البحر فسال الد ملج
يغيب لازورده في ليلكي يغنج
رنينه حريره بقدر مدبج
يضحك في معزوفة
يشهق عن جنيّةٍ
ريحانها المفلج
بالعمر بالاقدار ما ينشره البنفسج
من الضمير يشرق
باب وجودي يطرق
بكفه من نوله
خيوط عمري ينسج
فديته بكل شيء للمدى مولج
بنفسج بنفسج

علي شلق

ولا أغلو أو اشتط في الكلام اذا قلت اني كلما اتخيل الياس أبو شبكه يطرق أبواب المسؤولين من اجل مدّ يد المساعدة له في الحصول على وظيفة ليسدّ رمقه براتبها الضئيل ، فلا يجد منهم الا التنكر والنكاية به ، او تدفعه الحاجة الملحة الى استقراض المال من احد أصدقائه المقربين ، إلا واشعر بالدموع الغزار تنهمر من عيني ، وتجتاحني عاصفة هوجاء من السخط والتبرم ، وقد اضطرته ظروفه القاسية الى البت في شأن زواجه من غلواء وقد اقترن بها بعد مرور تسع سنوات على اعلان خطوبتيها وذلك لقلة ذات يده ، ولفداحة الازمة الاقتصادية الخانقة التي احاطت به ، وأججت فيه ثورة التمرد على الاوضاع الشاذة .

من الظلم الصارخ ان لا نحتفي برجال الفكر وحملة مشاعل الفن الذين يصنعون التاريخ ويسبقون جيلهم بنمط تفكيرهم ، ويحررون الشعوب من اغلال الجهل والرذيلة ، ويثيرون فيها رغبات الطموح والتجديد ، ويهيبون بها الى التطلع لمواكبة المدنية الموغلة في التطور والتقدم الحثيث .

سيظل الياس ابو شبكه ألمع كوكب في سماء الادب العربي وستبقى أولغا النور الوضّاء الذي ينبعث منه عبر السنين ...!

بغداد — خضر عباس الصالحي

الادب والالتزام

بقلم عيسى الناعوري

جرى هذا التعبير الجديد الالتزام ، او الادب الملتزم على اقلام الكتّاب منذ سنوات قليلة ، ولكنه حتى الآن لم يستطع ان يؤدي مفهوماً حقيقياً واضحاً في اذهان معتنقيه انفسهم ، بله قراءه ؛ فهو مزيج من السياسة والاجتماع ، والمفاهيم القومية والدولية ، ومبادىء الصراع والثورة ؛ ولكنه يمتاز بما يحمله من العنف والقسوة في الغالب ، ومن التركيز على أهداف معينة من مفاهيم الصراع ، التي تجعل من السياسة العنصر الرئيسي الاول في الادب ، بحيث تضاءلت جداً حصة العاطفة الانسانية ، والخيال ، وفنية التعبير وما اليها ، حتى لا تكاد تبين .

واذا كان الادب – بهذا المفهوم – ثورة في السياسة ، فهو كذلك ثورة في المجتمع . وهو في حالتيه هاتين عنصر قلق وفوران واحتدام . والثورة اذا لم تكن مفكرة واعية في روحها الانسانية فقد يرافقها الانحراف الى الفوضى ، او قد تنتهي اليها ، وهي اذا لم تجد ما تثور عليه انتهت الى الثورة على نفسها ، لان من طبيعتها – اذا خلت من التركيز على اهداف انسانية واسعة بوعي عميق – ان تظل في غليان جائع نهم . اما اذا كانت الثورة انسانية واعية هادفة ، وكان الذين يؤرّثون نارها في صدور الجماهير يعرفون حدود عملهم واهدافه ليقفوا عندها متجرّدين عن الدوافع والمؤثرات الشخصية او العصبية ، فان الثورة عندئذ تصبح واجباً يحق للأدب ان يتبناه ، وان يتجند في خدمته ، ولكنه على كل حال لا يقتصر عليه وحده ، لانه لا يحق للاديب ان يغفل عن حق الانسانية في ثورته الوطنية ،ولا عن الواجب الوطني في نزعته الانسانية ، ولا يمكن ان يتجاهل حق الفرد في المجتمع ، وحق المجتمع على الفرد ؛ ولا ان ينسى حق الروح والعاطفة .

ولا يقتصر الامر على الخلط بين مفهوم ادب الالتزام والانغماس التام في السياسة والثورة والصراع ، بل هناك امور اخرى يختلط معها نتيجة لعدم فهم اصحابه للمرامي الاصلية لهذا المذهب كما ارادها اصحابها الاصليون في الغرب ؛ فكثيرون من الكتاب عندنا ، كما يخلطون بين الادب والصراع السياسي ، يخلطون كذلك بينه وبين الواقعية الاجتماعية . والاصل في ادب الالتزام هو الادب الذي يرافق نظاماً دولياً معيناً ، ونوعاً خاصاً من انواع الحكم ، فيتجند في خدمته ، ويبشر بمبادئه ، ويتعصب له بحماس ؛ في اتجاه معين ومفاهيم محددة لا يجوز الخروج عليها .

اما الادب الواقعي فهو شيء آخر ، قد يتأثر بالادب الملتزم ولكنه لا يقتصر عليه ، ولا يقف عند حدوده ، بل يساير الحياة ونظم المجتمع مسايرة واسعة ؛ ففيه حصة لما يراه الاديب ، ولما يسمعه ، وما يشعر به ، ويتصوّره ، من واقع الحياة وصور الخيال : من البؤس والنعيم ، من اللذة والحرمان ، من الصراع والسلام ، من النشاط والخمول ، ومن كل نقيض ونقيضه في حياة الكون .

وكما ان الواقعية لا تهمل شيئاً من شؤون الواقع والخيال والعاطفة ، فهي كذلك لا تتغاضى عن ان الادب (فنّ) قبل كل شيء ، وان للعبارة الجميلة واللفظة الموسيقية اثرهما الكبير جداً في تجميل الادب وحسن وقعه وقوة تأثيره ، وفي وضعه في مكانه الصحيح بين الفنون الانسانية الجميلة .

غير ان هذا المفهوم – الذي يجعل للروح والتعبير الجميل مكانيهما البارز واهميتهما في الانتاج الادبي – لا يتفق وما يراه الاكثرون ممن يتعصبون لمذهب الالتزام ، ويخلطون بينه وبين المذهب الواقعي ، وهم لا يفهمون من الالتزام والواقعية الا المعنى السياسي من كل كلام مكتوب .

ان السياسة كثيراً ما تُفسد كل شيء تدخله ؛ والادب شيء مما يصيبه الفساد كثيراً اذا امتزج بالسياسة . واذا اصبح الادب صراعاً لتغليب نظام سياسي معين ، فانه يفقد أصالته ، ويفقد عنصر الفن فيه ، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً مباشراً بعاطفة الانسان من حيث هو انسان كجميع الناس الآخرين ، ومن حيث هو مخلوق ليعيش حراً سعيداً في مجتمعه البشري .

ان الاصل في الادب هو انه « فن جميل » ، كغيره من الفنون الجميلة الاخرى ، كالموسيقى والرقص والغناء والرسم والنحت والتمثيل . والاصل في الفن الجميل ان يُدخل البهجة والمتعة والرضى في حياة بني البشر ، وان يخفف من اعباء الحياة وشقائها عن ابنائها المتعبين . وليس من طبيعته في شيء

ان يُثقل نفوس البشر بأمور السياسة ، ولا ان يقسّم الناس احزابـــاً وطوائف ومذاهب متحاربة متصارعة متنافسة ، يسيئون بتحاربهم وتصارعهم الى وحدة الانسانية فيهم . وهو متى انحرف عن طبيعته – كفنّ انساني جميل مبهج – فانه يفقد اهم عناصره ، ويفقد مكانه بين الفنون الجميلة الاخرى .

ان الموسيقى ليست عملاً صراعياً ، ولا شأن لها بمذاهب السياسة ولا صلة بينها وبين جفاف الواقع ، او جمود الالتزام الذي يسير في ركاب السياسة . والانسان حين يستمع الى قطعة موسيقية انمـــا يلتمس شيئاً يخاطب روحه ، ويهدهد مشاعره ، ويضفي عليه جواً من الراحة والرضى والاطمئنان واللذة ؛ يريد شيئاً رقيقاً ناعماً ينسيه عناء العمل وشؤون الحياة اليومية المثقلة بأعباء الجهاد .

والامر مع النحت والرسم والغناء والرقص والتمثيل لا يختلف عنه مع الموسيقى . ان الانسان في حاجة الى الترفيه عن نفسه بشيء جميل مبهج ، ولذلك جعل لنفسه هذه الحواشي الجميلة لبهجته ، لان المتن – وهو حياة العمل – مليء بالمنغصات والهموم . ولذلك يسمع الانسان الغناء ، ويمارس الرقص ، ويعجب بالتماثيل والصور الجميلة ، ويقيم لها المتاحف والمعارض . وهو لذلك ايضاً يجعل من ممارسة هذه الفنون الجميلة جزءاً من برنامج المدرسة ، لينشىء ابناءه على حب الجمال ، وعلى رقـــة الاحساس ، وتوفير البهجة والرضى في الحياة .

والادب شيء غير منفصل عن هذه كلها ؛ فالقطعة الشعرية الجميلة هي في الوقت نفسه منغومة موسيقية تهدهـد الروح ، وترقق المشاعر ، وتبسط على النفس ظلاً ساحراً من البهجة والارتياح . والقصة الفنية الجميلة هي حديقـــة جميلة تنتشي الروح برياحها وعطورها ونضرتها . والمقال الجميل متعة للعقل ، وغذاء للفكر ، وتهذيب للنفس .

هذه هي وظيفة الادب الاصلية ، التي تجعل منه شيئاً باقياً ما بقي الانسان ، وما بقيت في الانسان حاجة الى الشعور بجمال الحياة ، ورضى القلب ، وراحة الوجدان ، وتسلية النفس . فالاديب هو اخو الموسيقي والرسام والمغني والنحات والممثل . انهم جميعاً اسرة واحدة ؛ وهم جميعاً كتيبة مجنـدة لتأدية رسالة السلام والرخاء الروحي والبهجة في حياة البشر ؛ كتيبة لا سلاح بأيديها سوى الاقلام والريش والازاميل ، التي تُبدع الحياة والجمال ، وتقوي شعور الانسان بانسانيته ، وتجعله في سلام مع نفسه ومع شركائه في الانسانية . امـــا الصراع السياسي ، فليس من وظيفة هذه الكتيبة في شيء ، ولا يمت الى رسالتها بصلة ، بل هو من عمل الصراعين السياسيين والحزبيين وحدهم .

لقد كان ادب شكسبير كله يدور على قصص الصراع ؛ وكل رواية من رواياته شريط كبير من صور الصراع الطبقي او العـــائلي او السياسي ، ومن المؤامرات والحروب والمنازعات . ولكن الصراع في ادب شكسبير لم يكن غاية الادب ، بل كان وسيلة الى خلق الجمال والفن ، والى الابداع الفكري والفني . حتى روايته الغرامية الكبرى (روميو وجوليت) كان محورها الاوسع الصراع العائلي والسياسي ، وكان هدفها خلود الحب وسموه وترفعه عن كل نوع من انواع الخلافات السخيفة . وقد انتهت الرواية الى زوال الصراع وبقاء الحب ؛ تماماً كما يقع في الحياة ؛ ذلك ان الصراع شيء لا يملأ الحياة كلها ، بل يغمر فترات منها ثم يمضي ؛ اما الحب فهو صنو الحيـاة ورفيق الخلود الذي لا يموت ولا يعتريه زوال . ولو كانت الرواية قصة صراع سياسي فحسب لمـا استحقت شيئاً من الشهرة العريضة التي ما تزال تتمتع بها برغم تطاول الزمن .

والادب الخالد الباقي على الازمان هو ادب النفس والعاطفة الانسانية الباقية ، التي لا تتأثر بالاجناس والاماكن والازمان والطبقات والاطماع . والانسان – من اية بيئة كان – يشعر بتأثر عميق ، ويحسّ بالرقة والجمال لدى قراءته (مرثية في مقبرة ريفية) لتوماس جراي ، او (القبّرة) لشلّي ، او (آلام فرتر) لجوته ، او ليـــالي الفريد دي ميسيه ، او غراميات لامارتين ، اكثر مما يتأثر ويحسّ لكل سخافات رديارد كبلنغ وجابريـــل دانونتزيو المعبرة عن الاطماع الاستعمارية ، والتشدق بمفاخر الفتوح والتوسع والسيطرة . ذلك لان السيطرة على الشعوب امر كريه وعـابر في حياة التاريخ ، وهي كالظل الذي مهما طال وامتدّ فلا بدّ من ان يعـود الى الانحسار والتقلّص ؛ اما مشاعر الحب والالم واللذة والكآبة ، فهي مشاعر انسانية عامة ، يُحس بها ابناء الشعوب الضعيفة والقوية ، ويعانيها البيض والسود بغير تمييز ؛ انهـا هي الاحاسيس التي تجعل الانسان جـديراً بانسانيته ،

ومتميزاً عن وحوش الغاب المتصارعة بقسوة وانانيـة لاجل السيطرة والشبع والتغلب .

ان الصراع يستطيع ان يكون مادة للادب ، ويخدم الادب خدمة جلّى ، ويكون وسيلة الى الابداع في رسم آيات الفن الخالدة ، ولكن الادب نفسه لا يستطيع ان يكون صراعاً ، بمعني الصراع المفهوم ، لانه اسمى من كل ذلك وابقى . وهو يوم يضع نفسه في خدمـة الاهـداف الآنيـة الزائلة ، انما يبتعد كثيراً عن حدوده وعن اهداف رسالته .

ان الادب رسالة ، ورسالته هي خدمة الانسان والمجتمع البشري بأوسع مدى ممكن عن طريق الفن وخلق الجمال واللذة في الحياة . والادب لا يكون الا تعبيراً عن واقع ، حتى حينما يُغرق في الخيال ، ويبدو بعيداً عن صور الواقع ومألوف الحياة؛ فما يمكن ان يتصور خيال الاديب شيئاً لم يكن راسخاً في قرارة نفسه ، وأعماق امانيه ؛ ولا يطوف تصوّره الا في دنيوات يحسها حتى ليكاد يلمسها لمساً .

قلتُ مرة في مقال سابق لي « ان الانسان في حقيقته الخالدة هو محور الادب الحقيقي وغايته ». وحقيقة الانسان الخالدة ليست في الصراع السياسي ، ولكنها في احاسيسه الانسانية ، وفي تأملاتـه ، وفي جهاده النفسي لبلوغ الكمال؛ هي في آماله وآلامه ، في طموحه وخذلانه ، في بؤسه وسعادته ، وفي فضيلته ورذيلته . فـاذا استطاع الادب ان يساير هذه العوامل الانسانية كان ادباً انسانياً جديراً بالحيـــاة والخلود . اما الادب الذي يخدم الاعراض الزائلة من حياة الانسان ، فانه ادب سريع الزوال ؛ انه يزول بزوال الغرض الذي يخدمه ، والمناسبة التي يُكتَب فيها .

والدليل موجود بين ايدينا ، وهو دليل لا يحتـاج الى عبقرية كبيرة لكي تظهر صحته ، او لكي يبدو للعيان ؛ فلقد بلغ العرب في العصر الحديث من سعة الثقـافة ، ومن الرقي الفكري والاطلاع الشامل مبلغـاً عظيماً ، وتوافرت لديهم اسباب الاتصال المباشر بالعلـوم والاختراعات والآداب العالمية بشكل لم يسبق له مثيل حتى في اخيلة عصور التاريخ العربي كلها . ومع ذلك فان الانتاج الادبي الذي نستطيع ان نحصيه في عداد الآداب العالمية الباقية ، مما ينتجه شعراؤنا وادباؤنا ، شي نادر جداً . ولكن حتى هذا الشيء الذي لدينا لا يضارع انتاج غيرنا من آداب الامم الاخرى ؛ فليس لدينا حتى اليوم انتاج ادبي يقف مع ادب شكسبير ، وجوته ، وتولستوي ، وهيجو ، ودانتي ، وبرنارد شو ، وبيرل باك ، وغيرهم . ورحم الله جبران خليل جبران ، فقد كان الخرزة الزرقاء الوحيدة في ادبنا العربي الحديث ... فما يعرف العالم كله من ادباء العرب سواه ، ولا سيما بكتابه (النبي) .

هذا ادبنا الملتزم كله ، بشعره ونثره على السواء ؛ انه في التزامه ليس اكثر من تعبير آنيّ عن احداث تقع في مجتمعنا العربي ؛ قد نتأثر به وحدنا في حينه ، ولكن لا يشاركنا غيرنا الاحساس بـه وبقيمته . ولا نلبث نحن انفسنا ان نفقد احساسنا به متى ذهبت مناسبته ودوافعه . واشد ما يملأ النفوس ألماً وغماً هو ان الامر اصبح عندنا قضية تقليد وغيرة ، ولا شيء وراء ذلك .

الاستاذ عيسى الناعوري

يكتب احدنا قصيدة في مأساة فلسطين ، او في ثورة المغرب العربي ، او في هجو فاروق ، او في اي حدث عربي او غير عربي آخر ؛ فيسرع جميـع الشعراء والمتشاعرين الآخرين الى نظم القصائد الطوال والقصار ، والحرة والمقيـدة ، في ذلك الموضوع عينه ؛ فاذا لا حديث للصحف ، ولا مادة لدواوين الشعر سوى ذلك الموضوع ؛ واذا مجال الفن والابداع في ما تنشره الصحف ، وما تحويه بطون الدواوين ، يضيق ويضيق حتى يبلغ حد الاستهجان ، واحياناً حدّ الاشمئزاز ، لان تكرار المعاني الواحدة والتعابير الواحدة هو كل وسيلة الشعراء في هـذا الشعر ؛ فقد تقرأ خمسين قصيدة ولا تشعر بأنك تجاوزت قراءة قصيدة واحدة ؛ وقـد تترادف عليك اسماء عشرين شاعراً ، فلا تحسّ الا بأنك تقرأ لشاعر واحد ؛ وقد تطالع اربعين ديواناً ، ولكنك تحسّ بأن في وسعك ان

تلخصها كلها في اقل من ديوان واحد .

وقل مثل هذا في النثر ايضاً ، فالامر غير مختلف ما دامت عدة الاديب الملتزم – عندنا – هي ان يكون نسخة اخرى عن اي شاعر او اديب آخر ، لكي يُثبت للقراء انه ملتزم . . .

والحقيقة ان الامر في هذا ليس امر التزام او واقعية في الادب ، وانما هو قضية عقم في التفكير ، او قضية فوضى في المفاهيم التي تفرضها على دنيا الادب واوساط الادباء فئات من المهوشين ، ممن لم يُخلقوا للادب ولا خلق الادب لهم ، الادب يعلو وينأى عن دجل السياسة وعصبياتها ، ويسمو على اخبار الصحف وريبورتاجاتها ؛ وهو اعمق اثراً في النفس المرهفة من كل ذلك . واذا لم يجد الحرية الكافية لكي يحلّق بأجنحته الساحرة ، لم يكن له غير ان يزحف على التراب زحفاً ، يتلمس المسالك والسبل في التخاريب والشعاب الضيقة الملتوية ، كما هي الحال مع ادبنا العربي الحاضر .

انني أومن بالادب الحرّ ، تماماً كما أومن بالمجتمع الحر ؛ أومن بتحرر المجتمع عن طريق الصراع السياسي والاجتماعي ، وأومن كذلك بتحرر الادب من قيود السياسة والنزعات الاجتماعية لخدمة كل ما هو حي وخالد من القيم الانسانية والاجتماعية والفكرية .

ان الادب فن جميل ، والفن لا يخضع للقيود . والاديب الذي يخضع للقيود لا يتميز في شيء عن النجار او الحدّاد او اي واحد آخر من ارباب الحرف الآلية واليدوية ؛ تطلب منه ان يصنع لك مئة خزانة ، او الف قضيب حديدي من قياس معين ، او مئة دراجة ، او مئتي قنبلة ، او ما الى ذلك فيصنعها لك بحسب طلبك ، لكي تقضي بها حاجة آنية لك ؛ ولكنها حاجة خاصة بك انت وحدك ؛ وقد لا تروق لسواك ، ولا حتى لصانعها نفسه . وحتى انت نفسك قد لا تعود تحتاج اليها بعد زمن قصير ، فتبدلها او تحطمها غير آسف ، او تطرحها جانباً .

ان الادب شيء غير بضاعة النجار والحداد وصانع الآلات ، لانه رفيق النفس الانسانية التي تتفلت من قيود الزمان والمكان والحاجة العارضة ، لانها بنت الخلود ، ورفيقة الابد .

عمان

عيسى الناعوري

احـــــلام

لعلي الزيبق

•

حلب

حسناء

ما للشوك يدمي من جناحي مطلبي ؟.

اترقبُ المجهول

بالصبر الطويل الطيبِ

فلعله ينشقُ عن آفاق حلمٍ مخصب !

حسبي اذوّبُ اضلعي

من اجل كل معذب !

كتـــابي

خير سمّاري في الليل كتابي	هو يغنيني عن لغو صحابي
يا رفيقي في الدياجي	وانيسي في اغترابي
كم تلاقينا وجنح الليل	مسوّد الأهاب
وتناجينا بانس	في ابتهاج وتصابي
هامساً في أذني	لطف احاديث عذاب
ساكباً في نفسي الظمأى	بصمت واكتئاب
عبراً فيها عظات	لشيوخ وشباب
مازجاً خمرة احلامي	بشهد وبصاب
باعثا دنيا عصور	دثرت تحت التراب
ترسل النور فتجلو	بهدى العلم ارتيابي
وتريني الكون قد فاض	باسرار عجاب
والنهى أشرق في فسحة	افاق رحاب
كاشفاً عن كل سر	كامن خلف الضباب
في تخوم الارض في البحر	على هام السحاب
يتحرى عالم الاحياء	في غمرة تيار العباب
كلما انزاح حجاب	جد في كشف حجاب
باحثاً يقتحم المجهول	في صبر وعزم وطلاب
لا يبالي بالرزايا	والمنايا والصعاب
فاذا المعجز سهل	والقوى طوع الرغاب
انت فيض من علوم	انت لمح من شهاب
توحي الفكرة في جلوتها	عين الصواب
ترشح النور سطور	منك فاضت بالالباب
تلهب الهمة في جد	وسعي واكتساب
فاذا العيُّ فصيح القول	يشدو باختلاب
واذا الكون جمال	سافر دون نقاب
انت في الحق صريح	لا تماري او تحابي
واذا اشتد جدال	كنت لي فصل الخطاب
بت تشكو لي غدر الدهر	او اشكوك ما بي
انت لي خير رفيق	في ذهابي وايابي
انت لي خير جليس	في طعامي وشرابي
انا ما عشت ارى	خير صديق لي كتابي

الكوت ـ العراق	**محمد جواد خضر**



صديق في القرية

بقلم جورج سالم

من « الاصدقاء »

دوى في سماء القرية صوت نقله صمت الليل الى شتى انحاء القرية. فهُرع الفلاحون أفواجاً من كل حدب وصوب ، وهم يقفزون بخطى سريعة واسعة ، مستجيبين لهذا الدعاء.

وقطع العم خليل حبل قصته ، وترك اخوه لفافته ، واستيقظ اناس ، كانوا قد تمددوا تحت زرقة السماء طلباً للنوم ، فقاموا مذعورين ، والنعاس يتثاقل على اجفانهم ، وحتى شوقي المجنون هُرع فيمن هرعوا ، وتركت ام اسعد ارجوحة ابنها المعلقة بين جدران الغرفة بعد ان دفعتها دفعة قوية ، واخذت سطلها بيدها ومضت مسرعة ، بينما شرعت حركة الارجوحة تتباطأ شيئاً فشيئاً ، فأفاق الطفل وطفق يبكي الا ان مشهد النور القريب من نافذته لفت انتباهه فكفَّ لحظات عن البكاء وسمَّر عينيه في هذا المشهد الغريب، ثم عاد الى بكائه بعد دقائق معدودة ..

كان بيدر (جاسم) يحترق ، وقذف جاسم من اعماقه بصيحة مدوية :

ـ النجدة يا اخوان ، النجدة ، المساعدة يا اهل المروءة .

والتفت نحو بيدره الثاني ، وخوف حار يلتهب في نفسه ، ان تتسرب النار اليه ، وحمل الناس جرارهم مملوءة ماءً في سرعة عظيمة ، وصبوها فوق البيدر، الا ان النار سرعان ما كانت تجد لها منفذاً آخر تنفذ منه .

والتفَّ حول البئر جماعة كانت تتناوب المتح لتملأ بالماء الثمين ، جرار الفلاحين والفلاحات المنتصبة باعتداد فوق الرؤوس . وكانت ثمة اصوات شتى تلسع الناس كأنها السياط ، وكان اعلاها واكثرها دوياً : « عجلوا ... عجلوا .. » اما جاسم فقد كان يروح ويجيء كالمحموم ، والعرق المتصبب منه يلتمع فوق رقبته . لقد سلم الموسم من الجفاف،هذا العام، كما سلم من الحشرات والديدان ، فمن اين جاءت هذه المصيبة الجديدة ؟ في لحظات قليلة تأتي النار على عمل سنة كاملة ، وعلى تعب عريض . وسُمع من بعيد خوار بقرة ، واعجباه، لعلها هي الاخرى تتألم متحسرة لتعبها المهراق سدى طوال موسم العمل ...

وحتى شوقي ، شوقي المجنون ، اخذته موجة من الحزن والفزع ، فهب يضرب النار بيديه الصفراوين المعروقتين غير آبه للسان النار الذي التهم يده ، واخيراً خمد النور ، وظهرت في ضوء النجوم كومة سوداء خافتة ، يبص عليها الماء ويلتمع ، هي حطام بيدر كبير كان يربض ههنا بانتظار نقله الى المدينة يوم الجمعة .

وعاد كل الى جلسته التي برحها ، الا ان سؤالاً ملحاً كان على شفاههم : كيف احترق البيدر ، ومن اين جاءت النار ، ومن الذي اشعلها ؟.

وسمعت ام اسعد ، وهي تعدو نحو صراخ ابنها صوتاً يردد في شبه غمغمة، « شوقي » ، « سيكارة شوقي ».

وانتقلت هذه الكلمات بين اهل القرية حتى ملأت اسماع الجميع في مثل لمح البصر ..

كان شوقي هذا قد جاء القرية منذ حوالي خمسة اشهر هرباً من مدينة حلب ، فقد سامه ابناؤها صنوفاً من العذاب ، حتى هزموه منها ... كانوا يطاردونه من حي الى حي آخر ، وهم يرمونه بالحجارة ، وكان يهرب ، اول الامر ، كلما ابصر ابواب المدرسة تقذف بكتل من الطلاب ، الا ان طلاب المدرسة القديمة في الحي المتداعي اكتشفوا امره ، فأخذوا يتربصون به الدوائر ، ومتى رأوه ، رشقوه بالحجارة ، وهتفوا ضاحكين : « يحيا الملك .. شوقي ملك . » وكان هو ينتفض مذعوراً كلما سمع هذا الهتاف، فيترك للسانه العنان ، وتسيل من بين شفتيه آلاف الشتائم، وكان يمضي مسرعاً الى الفرن الخرب الذي يسكن فيه مع امه فيحضر منه كومة من حجارة ويرمي بها الطلاب ، اما هؤلاء فلم يكونوا ليتمنوا احسن من هذه المعركة او يسعوا لابهج منها ، وهكذا كانت تلتقي الحجارة في الهواء وعلى ارصفة الشوارع ، حتى اذا ما ضحك الطلاب ملء اشداقهم ، وجاء فوج آخر منهم، تركوا لهم الميدان ومضوا الى منازلهم مسرعين ..

ثم كان يوم نصح فيه احد الرجال الطيبين امَّ شوقي ان تذهب به الى القرية وتتركه هناك عند احد اقاربها

عسى ان تهـدأ نفسه قليلاً وتستريح اعصابه المرهقة .

وهكذا انتقل شوقي الى هـذه القرية الصغيرة ذات يوم في سيارة من سيارات الشحن ، وحط رحله هناك بعيداً عن ضوضاء المدينة وصراخ اولاد المدارس ، وركن في منفاه الجميل هذا الى الحقول يقضي فيها ايامه ويعود في المساء فيتناول طعامه عند اقربائه هؤلاء . ويستلقي بعـدها في ركن ما من اركان هذا البيت الكبير ، غير بعيد عن الاصطبل النتن ، يحمد المولى على ان الاطفـال لم يكتشفوا امره وان له في البرية الواسعة خير ملجأ .

وكانت امه توافيه مرة في الاسبوع او في الاسبوعين ببعض المآكل التي تمنحها اياها سيدتها ، كما تحضر له معها علبتين او ثلاث علب من الدخان تشتريها من راتبها الشهري .

كان شوقي يستيقظ واهل القرية ، مع انبلاج الفجر ، فيمضي الى الحقول مرة ، او الى الطريق العامـة مرة اخرى ، مستصحباً في جيبه علبة دخانه ودفتراً من الورق الرقيق ، وحجراً من صوان يشعل به السيكارة فيقعد على حجرة بيضاء مربعة ، يعد السيارات التي تمر به طوال النهـار متفحصاً اشكالها ، مرهفاً اذنه لسماع صوت ابواقها ، معجباً بهـذه الضجة ، متطلعاً الى زوابع الغبار التي تتركها السيارات وراءها .

*

حينما عاد جاسم لينام ، كان النوم قد هرب من فضائه ؛ فجلس في فراشه ، ثم قام الى نعليه فلبسهما وخلّف وراءه باب الدار مفتوحاً .

كان الليل ساجياً ، والهدوء يربع في شتى ارجاء القرية . كان كل انسان قد استلقى ليستريح من عناء النهار . اما هو فقد كانت آلامه تتمخض منذ زمن قريب . ومهما حاول ان يطرد من ذهنه صورة البيدر فانها لا تلبث ان تعود الى ذاكرته بكل وهجها وتألقها واضطرامها . ها هوذا يستعيد الحادثة بكل تفاصيلها وبأجزائها كافة ، وصعّد نفساً عميقاً . كان جاسم حزيناً ، وان كل قطعة من جسمه لتحس بهذا الالم ، فلقد تحمل رأسه ، في سبيل هذا البيدر ، رياح الخريف وحر الصيف ، ولوحت الشمس وجهه . يده اليمنى بذرت الحب على مسافات واسعة ، وارهقت يده اليسرى صرة القمح ابان البذار . اما رجلاه فقد خدرهما التعب بطنهما . وان عرق الارهاق قد غسل جسده كله غسلاً طويلاً .. وبدت له القرية المتلفعة بالظلمة ، حزينة بائسة ..

— ليتني ارى ذلك الابله المجبول ، اذن لدققت عنقه ، واحرقته حياً كما احرقني حياً . من جاءنا بهـذا المجنون ولمَ وجد بيننا ، وفي قريتنا ، ما نفعه ؟ وما جدواه ؟ ان البقرة لخير منه ، فهي تعمل طوال ايام السنة ، والمحراث أفيد منه ، والارض اخصب منه؟ والكلب ، الكلب نفسه انفع منـه فهو يسهر على الدور والماشية ويحرس البيدر من سطو السلاطين وعبث السرّاق . لكل حي نفع هنا في القرية ، فما نفع هذا المجنون؟

.. وعنـدما رمى شوقي لفافته الاخيرة وهو منطلق الى النوم ، كان الهواء على استعداد لان يضرم في هذه الفضالة الصغيرة ناراً كبيرة ..

ولمح جاسم من بعيـد في الطريق المنحدرة نحو مدخل القرية شبحاً اسود يتلوى في اضطراب وعرف فيه غريمه شوقي ، فانحدر نحوه .

كانت هامة طويـلة ، ذات شعر أشعث ورقبة طويلة وعظام بارزة ، تلتمع عيناها في ظلام الليـل ، وحث جاسم خطاه ، ودون ان يتردد تناول حجراً ضخماً من الارض وحمله بين يديه وضاعف خطاه ..

حين اقترب جاسم من شوقي كان هـذا يبكي ، وهو يصفق بيديه وينفخ الهواء من فمه عليهما ، والدم يسيل منهما . ذلك بأن لسان النار كان قد لحس يديه اذ كان منهمكاً في اطفـاء الحريق مع سائر اهل القرية . وها هوذا الآن يحمل يديه المهترئتين المتألمتين ، وقد بردت الحروق فيهما . نظر جاسم الى شوقي فرأى عجباً . كانت يـداه بلون التربة الحمراء ، شديدتي الاحمرار ، شديـدتي الانتفاخ . وكان يرتجف وتصطك اسنانه ..

بدا الحجر الذي حمله جاسم باهظ الثقل ، شديد الوطأة في تلك الثانية ، فرمى به الى الارض .. ان هـاتين اليدين المتألمتين لتختلفان عن قوائم البقرة ، ان فيهما لشبهاً بيـديه هو وبأيدي اخوته .

ومزق جاسم قطعة من ثوبه ، الف بها يدي شوقي .. وسُمع من بعيـد ، ومن مئذنة متواضعة صوت رخيم يقول : « حي على الصلاة .. حي على الفلاح ! »

حلب جورج سالم

السحاب

للشاعر شيلي

٥

أجلب مزنا جديدة للازهار العطشى
من البحار والجداول
واحمل ظلاً خفيفاً للاوراق عندما تضطجع
في احلامها عند الظهيرة
من اجنحتي ينثر الطل الذي يوقظ
البراعم الحلوة الواحدة تلو الاخرى
عندما تهزها امها لتنام على صدرها
كما لو كانت تتراقص في الشمس
ادير نورج البرد فيتناثر
واجعل السهول تحتي بيضاء
ثم اذيب البرد بالمطر
واضحك بينما امر مع الرعد
أنخل الثلج على الجبال تحتي
فتئن اشجار الصنوبر التي عليها مندهلة
وطول الليل تكون الثلوج وسادتي
البيضاء
بينما انام بين ذراعي هبوب الرياح
وعلى ابراج تعريشتي السماوية العالية
يجلس البرق حيث يكون دليلي
وهناك في كهف تحتي يوجد مكبلاً
بالاغلال
وفي اثناء نوباته يصيح ويتعارك
وفوق الارض وفوق المحيط بحركته
اللطيفة
يقودني هذا الدليل
فقد اغواه حب الجن المتحرك
في اعماق البحر الارجواني
وفوق السهول وفوق الصخور الشائقة
وفوق التلال
وفوق البحيرات وفوق السواقي
فالروح التي يحبها باقية
وانا دائماً الشمس في ابتسامة السماء الزرقاء
بينما اكون ذائباً مع المطر
ان شروق الشمس المملوء بالرجاء ذو
العيون الشهبية
بريشه المنتشر كأنه يشتعل
الذي ينقر فوق آلة تعذيبي
حينما تغيب نجم الصباح
كما تغيب شبق على صخرة شاهقة
عند اهتزاز زلزال
وكنسر يجثم لحظة واحدة
في ضياء اجنحتها الذهبية
ولما يتنفس غروب الشمس من البحر
المضاء الذي تحته
فحاسة الراحة والمحبة
يمكن ان تسدل رداء المساء القرمزي
من اعماق السماء التي في الاعلى
استريح واجنحتي مطوية وأنا في عش
من الهواء
كالحمامة الراخمة
تلك الفتاة الموشحة بالنار البيضاء
التي يدعوها الآدميون القمر
تسير متلألئة فوق ارض شبيهة بصوف
الخروف
وهي منتشرة بين انسام منتصف الليل
واينما طرقت قدماها غير المنظورتين
التي لا يسمعها سوى الملائكة
تلك يمكن ان تشق نسيج سقفي الرفيع
والنجوم تنظر من ورائها
وانا اضحك لدى رؤيتها تدور وتهرب
مثل عنقود من النحل الذهبي
ولما اوسع الشق في خيمتي المنسوجة
من الرياح
حتى تصبح الانهار والبحيرات والبحار
الهادئة
كقطع قد تساقطت من السماء من خلالي
وجعلتها كلها مبلطة بضياء القمر
اربط عرش السماء بمنطقة مشتعلة
واربط عرش الشمس بوشاح من اللؤلؤ
والبراكين قائمة والنجوم تترنح وتسبح
ولما تفتح الرياح رايتي
من رأس الى رأس على شكل جسر
فوق بحر زاخر
اعلّق اشعة الشمس فأجعلها كالسطح
واجعل لها بمثابة الاعمدة
واما قوس النصر الذي امرق خلاله
فهو الزوابع والنار والثلج
ولما تربط قوة الهواء الى كرسي
يظهر قوس القزح بالوانه المتعددة
وتظهر الكرة النارية من فوق الوانه
اللطيفة
بينما تكون الارض ضاحكة من تحته
انا بنت الارض والماء
انا رضيعة السماء
امرّ من خـــلال مسافات المحيط
والسواحل
انا أتغير ولا اموت
وبعد المطر لا تبقى اية وصمة
في خيمة السماء اذ تصبح خاليه
والريح وضياء الشمس بضيائها المحدّب
تشيدان قبة الهواء الزرقاء
امـــا انا فأضحك بصمت من نصبي
التذكاري
ومن كهوف المطر
كطفل من الرحم وكالروح من القبر
انهض واهدمه ثانية .

بغداد **عصام الدليمي**

غـريـب

يا غريباً كفاك تحملُ هما　　　يا شريداً على دروب الحياة
يا وحيداً يتيه في الظلماتِ　　　انت شوق مؤجج اللفحاتِ
ونداءٌ يهيم في الليل أعمى

كل دنياك آهةٌ وجراحُ ..　　　كل دنياك ادمعٌ وشجونُ
ورجاءٌ ولهفــةٌ وأنين　　　وابتهالٌ مصفدٌ وحنين
وفؤادٌ للعابرين مبــاحُ

للهوى منك قسمةٌ ونصيبُ　　　ولك الهونُ والأذى والدموعُ
والظلام الملوّعُ المفجوعُ　　　بت للوجد تشتري وتبيع
إنما الدهر خادعٌ وكذوبُ

كيف تحيا والكون حولك سورُ　　　كيف تحيا وانت معدم أعزل
قتل الدهر ما أضنَّ وأبخل　　　وهب الحظ للئيم وأجزل
وحباك الحرمان وهو فخور

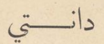
يا لدنياك .. يا لها صحراءُ　　　لا غديرٌ لا نخلةٌ تتفيا
عش شقيا فقد خلقت شقيا　　　مت قصيا فقد وجدت قصيا
فحرام على الغريب الماءُ

ضائعٌ انت في رمال الحياةِ　　　تطلب الرزق وهو جد بعيدِ
إن دنياك مهمهٌ من جليدِ　　　وسرابٌ يلوح غيرَ بعيـدِ
فاخلع الضعف وارتدِ العزماتِ

انتفض كاللظى دماءً وحقدا　　　أعتق النفسَ من قيود الركونِ
وتمردْ كالمارد المجنونِ　　　يتخطىً على الدجى المفتونِ ..
ويحيل السراب برقاً ورعدا

انهمر انت نهر شوق مُدمّى　　　وتدفق شلال نورٍ وفيرِ
يشرب الليل شُربة الموتورِ　　　يبعث الميت من ظلال القبور
يا غريبا كفاك تحملُ هما

دمشق　　　توفيق صرداوي



دانـــتي

بقلم مصطفى آل عيال

ليسانسيه في الادب الايطالي



في بلد حباه الله بفيض من نعمائه وخلع عليه من جميل آلائه وشمله بخيراته وخصه ببركاته ، في بلد تزينت طبيعتـــه وتزركشت بشتى انواع النباتات النضرة ، وبباسقات الاشجار الخضرة . في بلد اقتسمته الانهار فانسابت ببرودتها وقامت على جوانبها الجنائن الغنـــاء حيث الازهار بأريجها والاطيار بسقسقتها والنسيم عليل والظل ظليل ؛ في بلد شمخت جباله فكادت تتطـــاول ، وتعممت بالناصع من الثلج واطلت من عليائها في كبريائها على السهول المعشوشبة الجاثية على قدميها جثو العابد ، وأشرفت على الوديان المنسابة كالأفاعي في شهر نيسان وقد أخرجهـــا الربيع من احجارها فزحفت متعرجة متثاقلة متباطئة ملتوية ، في تلك الوديان بالذات حيث الخرير والصرير والصدى المتكسر على الصخر الأصلد . تفتح النور عن ربة الفن فنمت فيه وترعرعت في جناته وفيافيه واتخذته موطناً عنـــه لا تحيد وضمت الى صدرها الناهد ابناءه ضمة قوية ثم حبتهم بما حباها به الفنان الأكبر وأقسمت ان تكون وقفاً عليهم دون سواهم فوفت وبرت وكانت المدهشات والمعجزات وكانت الايات الرائعات في الفن الرفيع الاصيـل ، وكان الكمال كل الكمال وكان الجمال كل الجمال فانفتنت النفوس وحـــارت الالباب وآمنت بالله الجميــــل رب الفن والسحر والجمال . في بلد عذب ماؤه وطاب هواءه وكان مما كان للطبيعة من اثر عظيم فيه كل شيء ينم عنه ويبديه وهيهـــات ان يطمسه طامس او يخفيه . في بلد مثل هذا شمله الجود والكرم ، في ايطالية ولد الشاعر الأعظم دانتي اليغياري .

رأى النور في مدينة فيرنتسه عـــام ١٢٦٥ . ينتمي الى اسرة وسط في الغنى عريقة في القدم ، تعود بأصلها الى بعض الاجداد من الرومانيين فاتحي المدن والبلاد . فقد والدتـه طفلاً . والتقى وهو في سن التاسعة ولاول مرة بالفتـــاة بياتريتشه وهي من اترابه . فتأثر بجمالها تأثراً عميقـــاً بليغاً لم تمحه السنون ولا الاحداث . وكانت الشعلة الاولى والحدث الخالد والمحور الاعظم الذي دار حوله فلكه الادبي والشعري وشهرته العالمية التي لا ينازعه عليها منازع ولا ينافسه فيها منافس.

لقد تقدمت السنون بدانتي وبفتاته فأصبحا شابين نضرين . هي نضجت فاكتملت انوثتها وتفتقت عن جمال آية في الروعـة يحير الالباب ويبهر الابصار فترتد عنه خاشعة صامتـــة . وأصبحت سر الهام دانتي الشاعر فأضفى عليهـــا من الفضائل الجمة واحاطهـــا بهالة من القدسية الى ان جعلها سماوية النسبة ارسلت لتبشره وتبشر الملأ أجمع ان العــــالم سيواجه حقبة جديدة من تاريخه .

ولقد قص علينا دانتي حبه هذا الاول ، ومـا ادراك مـا الحب الاول ، في احدى باكورات مؤلفاته « لا فيتا نووافا » (الحياة الجديدة) . في هذا الكتاب يتخلل الشعر النثر . ولكن لا يزال يعوزه النضج في الشاعرية والتفكير المركز العميق .

وكرّت الايام وكان شعور غريب مخيف يخامر دانتي . كان احساس بمصيبة لا بدّ ان تنزل عليه . كان كأنه سيفقد الجزء الاكبر من نفسه . لقد مرّ كل ذلــك بخاطره كما تمر الرؤيا ولكنها رؤيا صادقة . ومـــا عتم ان وافاه الخبر ويا للهول . لقد جاءه النبـــأ بوفاة بياتريتشه . فكانت ضربة كالصاعقة سقط دانتي على اثرها في ذهول ما بعده ذهول . ولم يثب الى نفسه الا بعد مضي ثلاث سنوات عندما اثار بكاؤه المر وزفراته الحارة العطف والحنان في نفس امرأة مرهفة الحس انيسة شابة على قسط من الجمال .

وعاد الحب مرة اخرى يضيء له سبل حياته وشعلة احساسه وشعوره . وحاول ان يعرض عن هذا الحب الجديد حتى لا يدنس حبه الاول ، متوسلاً الى بياتريتشه في علياء سمائها كي تنقذه منه . ولكن حنان المرأة الثانية المتناهي انتصر ووقع الشاعر في احضان الاه الحب مرة اخرى فملك عليه الهامـــه ورفع الاناشيد له وغنى المحبوبة الجديدة في كتاب له جديد « الكنتسونيار » (مجموعة الاناشيد) .

والان يجب الا نفهم من كل هذا ان جلّ غايته تدبيج قصائد الغرام والهيام . لمن . لهذه المرأة الثانيـة . كلا . ان النساء اللواتي لعبن دوراً في حياته ولكن دوراً ثانوياً كثيرات. وان اتينا على ذكرهن فلأنهن يدخلن موضوعاً في كثير من مؤلفاته . وكذلك ليس لدينا معلومات ذات شأن عن مرحلة شبابه . انما نعرف عنه انه منذ حداثته كان خصب الخيال يحب العزلة والتأمل الطويـــل . قليل الكلام ، كثير الاطراق والتفكير . ونظراً لانصرافه الى الدراسات الجديدة المفضلة

لديه وما يتحلى به من الارادة القوية ، ورغبتـــه في ان يتعلم ويستوعب جل العلوم النافعة المعروفة في ايامه . كل ذلـك صرفه عن السياسة أيام تفتح شبابه . وبالرغم من كل ذلك فقد خاض عام ١٢٨٩ بعض المعارك ضد الحزب المناوىء لحزبه . وما اكثر الاحزاب المتناحرة في تلك الايام ومـا اسخفها . وهو لم يفعل ذلك الا سعياً وراء تحقيق مثله في الحياة المدنية حيث القيم الصحيحة والمروءة على حد قوله .

وفي عام ١٢٩٥ اراد دانتي النزول الى معترك الحيـــاة والاشتراك بالمرافىء العامة . وكانت القوانين المرعية لدن البـلدية آنئذ تحتم على كل مشترك ان يتسجل في نقابة من النقابات . ففعل دانتي وسجل اسمه في نقابة الاطباء والصيادلة . وانتخب في السنة ذاتها عضواً في المجلس الاستشاري الشعبي الخاص وفي مجلس الحكماء الذين وكل اليهم امر تحضير انتخاب القضاة. وفي السنة التالية اشترك في المجلس الاستشاري المؤلف من مائة عضو . وكذلك اشترك عام ١٢٩٧ في مهمات اخرى لا نعرفها بالضبط. وارسل عام ١٣٠٠ سفيراً الى بلدةسان جيمينيانو. وبعد مرور ستة اشهر على هذه المهمة انتخب قاضياً . وكان الحكم آنئذ بيد بضعة من القضاة . وكانت هذه المهمة الاخيرة سبب بلوائه وتعاسته وشقائه .

ذلك ان في تلك الايام كانت اطماع كثيرة تراود البابا بونيفاتسيو الثامن. كان يريد اخضاع مقاطعة توسكانا لسلطانه . وكان دانتي يقف له دوماً بالمرصاد . وما عتم ان ارسل مع رفيقين له سفيراً الى رومة . وتمكن البابا بونيفاتسيو في هذه الاثناء وبواسطة عملائه ان يقنع الحكومة التي كان يشترك بها دانتي بصحة نواياه واحتفظ به رهينة عنده وحال بينه وبين رجوعه الى وطنه .

ثم تعاقبت الاحداث واستولى الحزب المناوىء لحزب دانتي على الحكم وبدأ بشن حملة للانتقام من اخصامه ومناوئيه. واول ضحايا هذه الحملة كان دانتي نفسه . فحكم عليه بدفع خمسة آلاف فيوريني (نقود من ذهب ٢٤ قيراطاً ، وزن الواحد منها ٣ غرامات ونصف تقريباً) ، مع النفي سنتين وتجريده من كل عمل حكومي . فلم يتقـدم دانتي للدفاع عن نفسه او لتبرير ساحته لانه كان يعرف مسبقاً ان كل محاولة من هـذا القبيل ستبوء بالفشل . ولما لم يتقدم لاستئناف الحكم فقـد اعيدت محاكمته وحكم عليه بالحرق حياً هـذا ان وقع بايدي خصومه . وهكذا فقد اغلق هذا الوطن الصغير الذي تفانى دانتي في حبه جميع ابوابه في وجهه ولن يفتحها له ابداً .

وكما يحدث في مثل هـذه الحالات فقد حاول زملاؤه المنفيون مثله باقتحام المدينة اي فيرنتسه ، عنوة والدخول اليها بقوة السلاح . ففشلوا في محاولتهم هـذه لا بل كان ذلك سبباً آخر في ازدياد حالتهم سوءاً على سوء . وقد لاقى دانتي من رفاقه هؤلاء ما جعله يشك في نياتهم ويوجس منهم خيفة وخيانة وتعمد اذيته. فتركهم واعتزل وصمم ان يعمل لوحده. فلجأ الى احد الامراء وانضم الى حاشيته ولكن ابت عليه كبرياؤه وعزة نفسه الخنوع والخضوع كما هو شأن افراد الحاشية. فسرعان ما غادره وقصد اميراً آخر وقد كلفه هذا ان يسعى بالصلح بينه وبين احد اخصامه . ففعل وكان موفقاً في مسعاه . ثم غادر ايضاً هذا الامير الثاني. وهنا ضاعت معالمه وخفيت علينا اقامته لفترة من الزمن . كل ما نعرف عنه انه كان في هذه الحقبة كثير التجوال. وقد الف في اثنائهـــا « الكونفيفيو » (العشاء) . وقد اراد ان يبرهن في هذا المؤلف الجديد ويعرب عن ذلك الحب الذي سبق أن اعرب عنه في قصائده وهو يدور حول تلك المرأة الانسانة الخنون. ولم يكن ليقصد بها غير الفلسفة وكان يريـد ان يقول انه لم يضيع وقته سدى سعياً وراء التوافه بل صرفه في درس مـا تتطلبه الحياة الادبية والمدنيـة وفي درس القوانين التي تساعد على اقامة العدل والسلام بين بني البشر .

ودارت عجلة الزمان . وكانت احداث واحداث داميـة ان دلت على شيء فانها تدل على شراسة الانسان المتأصلة فيـه بالرغم بما يدعيه من الحضارة والتمدن وعلى الرغم ما يتلقنه من التعاليم الدينية والاخلاقية والادبية منذ نعومة اظفاره .

دارت عجلة الزمان مرة اخرى ، وبينما كان دانتي مكباً على تأليفه بلغته الانبـــاء ان ملك لوكسمبرج السابع اتفق والبابا على النزول الى ايطالية حيث سيتوج امبراطوراً عليها ثم يحررها نهائياً من الاحزاب المتكالبة المتطاحنة ومن اسياد الاقطاع المتناحرين المتآمرين ويعيد اليها السلطة الحقة ويقيم العدل ويوحد جميع اجزائها . كاد دانتي لا يصدق ما بلغه .

ان حبه لوطنه الاكبر ايطالية يملك جميع حواسه ومشاعره . كان يتلوى ويتألم من كل نازلة تنزل فيه . كاد لا يصدق ما بلغه من الانباء المستعجلة . ايكون حلماً او يكون الله قد تذكر هذه البقعة من الارض واراد انقاذها . اتتحقق اذاً امنيته الكبرى ورغبته التي ما فوقها رغبة . لقد دفعه هذا الامل الجديد الذي اخذ يدغدغ له امانيه ان يدبج الرسائل الحماسية ويبعث بها الى الملوك والامراء الذين كانوا يتقاسمون ايطالية ويناشدهم فيها على ترك الاحقاد والضغائن وأن يتناسوا ما بينهم من البغضاء والمشاكل الانانية ويضمدوا جراحات الوطن الاكبر ويساهموا في توحيد اجزائه ويرفعوا لواءه علما لهم واحداً يرفرف فوقهم جميعاً ويظلهم جميعاً .

هذه السحابة من الاماني العذاب والامال الحلوة سرعان ما بددتها الرياح فتلاشت واطفأت ذاك البصيص الاخير في نفس الشاعر الكبيرة . وهذه هي الضربة الاخيرة القاسمة القاسية التي يوجهها اليه القدر وبنو البشر . وكانت ضغثاً على ابالة . نفي وتشريد وحرمان وخذلان كلها تكفي لتهدم اشدّ النفوس واقواها ايماناً .

والى هذه الحقبة ينتمي مؤلفاه « الملكية » « والرسائل » وقد طرق فيها ابحاثاً سياسية ذات أهمية كبرى دلت على عمق تفكير وكثير حنكة وتدبير . دلت على وجهة نظره في مثل هذه الامور في السلطة الزمنية والسلطة الروحية . وقد نفّس عن نفسه في هذين المؤلفين . وما عتم ان عاوده الامل في انقاذ وطنه هذا المتقطع الاوصال وأنه لا بدّ ان يبعث الله من يقيله من عثرته ويوحد راياته في راية واحدة ويؤلف القلوب ويجمعها على كلمة الخير والصواب وهدى العباد .

ثم عادت به عجلة الزمن الى حياته الماضية فسبح في خضمها وبدأ يؤول تلك الرؤى وذاك السحر الذي ملك عليه كل جوارحه حبه لبياتريتشه ، علامة من رب السماوات لاختياره منشداً لعهد التجديد والاصلاح الذي يمهده الله للناس ليردهم الى سواء السبيل ولكي يجعلهم يتمتعون بتلك السعادة التي من أجلها اوجدهم في هذا الكون الذي هو صنيعته . لقد رأى في حبه لبياتريتشه اسمى معاني الانسانية . وان الاحداث الاليمة التي مرّت بها حياته كانت بمثابة تجربة له في الشر والخير تطهيرا لروحه من ادران هذه الفانية . وهكذا اختمرت في اعماق نفسه فكرة تأليف ملحمته الكبرى المقدسة . وهكذا ولدت « الرواية » ذاك الصرح العظيم الشامخ الذي المّ بالمفاهيم التي كونها دانتي لنفسه عن الحياة والتاريخ والسياسة والفلسفة والجمال . ولقد لقب هذا المؤلف الاخير بعد وفاة دانتي بـ « الرواية الالهية » . ولسنا الآن في هذه العجالة التي استعرضنا بها حياة الشاعر ، بصدد التكلم عن هذه « الرواية الالهية » بله المصادر التي استقى منها دانتي . فهي في نظرنا مصدران لا ثالث لهما بالرغم من كل الافتراضات والمعترضين . المصدر الاول ، وقد اعترف به دانتي نفسه صراحة ، واتخذ مؤلفه مرشداً له في رحلته ما وراء الطبيعة ، الا وهو « فرجيليوس » صاحب كتاب « الانيده » الشهير .

اما المصدر الثاني ، وقد اغفل ذكره دانتي تعمداً ، واغفل ذكره جميع شارحي « الرواية » والذين الفوا عن دانتي ، جهلا . وهذا المصدر الثاني ذو الاهمية الكبرى هو « المعراج » . والادلة متوفرة لدينا على اعتماد دانتي عليه جملة . ذلك لان للمعراج ترجمات باللاتينية اطلع دانتي عليها حتما واستقى منها الشيء الكثير . وعلى كل حال هذا لا ينقص من حق عبقريته ولا ينال من مكانته . وسنفرد بحثاً على حدة في صدد هذا كله متى فرغنا من جمع الادلة اللازمة .

اما « الرواية الالهية » فهي من اشهر الملاحم الايطالية ومن اعظم الروائع العالمية . ولا نعلم بالضبط متى وضع لها دانتي التصميم . انما جلّ ما نعرفه انه انتهى من تأليفها في مدينة « رافنا » .

ولقد دعاه بعضهم الى الحضور الى مدينة بولونية من اعمال ايطالية ، كي يحتفلوا بكتابه ويتوجوه باكليل الغار وامارة الشعر . فرفض لانه كان يأمل ان يعود الى مسقط رأسه « فيرنتسه » وان يتوج هناك لا في غيرها . هذه كانت امنيته الوحيدة والاخيرة والتي ليس فوقها امنية .

وفي عام ١٣٢١ ارسله اسياد مدينة « رافنا » حيث كان ضيفاً ، سفيراً لهم الى حكومة مدينة البندقية . وبعد ان ادى مهمته على اكمل وجه عاد ادراجه . وبينما كان في الطريق اصابته حمى الملاريا مستعجلة مستفحلة . وفي ليلة ١٣ و ١٤ سبتمبر (ايلول) وافته المنية .

كتب احد المؤرخين عنه فقال « ان التاريخ لم يعرف انسانا اكثر منه نزعة انسانية . عبقريته فوق العبقريات . خياله لا يعرف حداً ولا افقاً . خلاقاً قويا . تنبض فيه الروح الايطالية كلها روح الفن والجمال روح الحاضر والمستقبل ... »

روما مصطفى آل عيال

عذاب الفشل

مهداة الى الاستاذ فؤاد حسون

فشلنا
وعاد الاسى والملل
يطل علينا
ويهزأ منا
كأن لم نكن دوحة فوق قمه
ولم نشبع النصر ضماً ولثما
ترانا انتهينا ؟
ترانا هزمنا ؟
وجفَّ بريق المنى والأملْ
على ناظرينا
وماتت اغاني الغزلْ
على شفتينا
واصبح لا بدَّ من ان نعود
على دربنا الشائك المؤلمِ
باحزاننا ...
بالصدى المبهمِ
يوجهنا خطوه المرتمي ...
بقلبِ المدى
ويعلن ان الذي مرَّ ضاع سدى .

لنمضِ معاً في الشعابِ الطوالْ
باحزاننا ..
بالصدى المبهمِ ...
نجرّ ورانا قيوداً ثقالْ
معطرة بالاسى والمللْ
قيوداً تضيق من خطونا
وتعلن يا صاحبي اننا

هزمنا ...
وما عاد يشرق في عالمينا
سوى شبحٍ مرعب للفشل .

لنمضِ على الدرب ... درب الرواحْ
ونخفِ الذي صابنا من جراح
فما عاد بين يدينا سلاح
وما عاد في بارقينا أمل
لنجترَّ عبر الطريق الطويلْ
دموع الاسى وعذاب الفشل
وكنا مشيناه منذ قليل
وملء سمانا رحيق الأمل
نريد اللحاق بشيء جميل
نسميه نحن سراب المنى
ونعلن ان السراب لنا .
ولنا وحدنا
لنمضِ الى ان تعود الطريق بنـا
الى حيث جئنا ...
وحيث انطلقنا
لنقضيَ ايامنا الباقيه
حنيناً الى العزة الماضيه
الى ان تجفَّ دموع المقلْ
على وجنتينا
فنغمض اجفاننا الواهيه
ونمضي مع الليل للهاويه

عصمت حمارنه
الجامعة الامريكية بيروت

بائع الكتب

لأنطون تشيخوف

ترجمة حسن السعران

ورث اندريه اندرتش سدروف أربعة آلاف روبل عن أمه، واعتزم ان يفتح بها حانوتاً لبيع الكتب ، اذ رأى ان البلدة تتخبط في ظلام الجهل ، وانها في حاجة شديدة الى حانوت كهذا. فالعجائز لا يفعلون شيئاً سوى الذهاب الى الحمامات العامة، والموظفون يقضون ساعات فراغهم في لعب الورق وتجرع الفودكا . والنسوة يثرثرن عما قيل ويقال ، والفتيان يعيشون بغير مثل عليا ، والفتيات يلتهمن الفطائر ويحلمن طوال النهار بالزواج ، والازواج يضربون زوجاتهم ، والخنازير تتسكع في عرض الطرقات .

«نحن في حاجة الى الافكار، المزيد من الافكار ! » هذا هو ما اعتقده اندريه اندرتش .. أجل أفكار !

وما ان استأجر المكان اللازم حتى سافر الى موسكو ، ثم عاد منها بشحنة كتب ضخمة : كلاسيكية قديمة وجديدة معاصرة . فضلاً عن كمية كبيرة من المراجع والدراسات . وسرعان ما قام بترتيب تلك الكتب على رفوف حانوته . ومضت الاسابيع الثلاثة الاولى دون ان يتردد عليه زبون واحد . وكان اندريـــه يجلس خلف طاولة الحانوت يطالع مؤلفات ميخايلوفسكي السياسية ويحاول التفكير في هدوء وأمانة . مثال ذلك ، انه اذا جال بخاطره فجأة ان يتناول أكلة سمك بالعصيدة اللذيذة قال لنفسه على الفور : يا لهـا من سخافة !

وأحياناً ، تقتحم بابـــه احدى الخادمات وهي مقشعرة من البرد وعلى رأسها منديل يلف شعرها ، وفي قدميها حذاء كاوتشوك بقي من المطر ، وتصيح قائلة :

— أعطني خلًا بكوبكين !

ومن ثم يجيبها اندريـه اندرتش في شيء من الامتعاض : لقد أخطأت الباب يا سيدتي ، ودخلت غير الحانوت الذي تقصدينه !

وعندما يزوره أحد الاصدقاء ، يتصنع سحنة غريبة تنم بطابع من الاهتمام ، ويمد يده الى أعلى رف ويمسك بمجلد من مؤلفات بيساريف ثم ينفخ عن جلدته الغبار ويتطلع الى الصديق بنظرة الفخور بما لديه من كتب اخرى رائعة ، ويقول :

« هذا شيء رائع حقاً .. اعني انك تقرأه فيستهويك بالذي فيـــه من آراء . »

ودخل الحانوت الزبون الاول بعد مضي ثلاثة اسابيع . كان رجلًا بديناً وخط الشيب شعره ، له لحية كثة فوق صدغيه ، وعلى رأسه قبعة ذات شريط أحمر .. يبدو من هيئته بوجه عام انه أحد أصحاب الاراضي . وطلب الجزء الثاني من كتاب « لغتنـا القوميـة » ثم سأل قائلًا : هل عندك أقلام اردواز ؟

— كلا ، لا أبيعها !

— مـن المؤسف ان يضطر المـرء للذهاب الى السوق من أجل شيء تافه كهذا .

وبعد ان غادر الرجل الحانوت ، قال اندريه محدثاً نفسه : صحيح ، من المؤسف انني لا ابيع اقلام الاردواز. ان التخصص لا يجدي في الاقاليم ، ولهذا لا داعي للاقتصار على بيع الكتب فقط ، لا بد من ان يبيع المرء كل شيء يتصل بالتعليم ويساعد على انتشاره بطريقة او اخرى .

وكتب الى موسكو ، وقبـــل مضي شهر واحد ، كانت فاترينة حانوته تغص بالاقلام والمحابر والمساطر والدفاتر والكراسات ومـــا الى غير ذلك من مختلف الادوات المدرسية المعروفة . وسرعان ما أخذ الصبية الصغار يترددون على الحانوت في الحين بعـــد الحين ، وأخذت المبيعات تزداد شيئاً فشيئاً . وفي احد الايام اقبلت على الحانوت الخادمة ذات الحذاء الواقي مـــن المطر وهمّ بأن يقول لها في امتعاض بأنهـــا اخطأت الباب ، عندما سمعها تصيح : أعطني ورقاً بكوبك ، وطابع بريد بسبعة كوبيكات !

وبعد ذلك بـدأ اندريه اندرتش يبيع طوابع البريد والتمغة والاستمارات الرسمية .



وجاءت سيدة بعد ثمانية شهور من افتتاح الحانوت تسأله بعد شراء قلم حبر، اذا كان لديه حقائب مدرسية . فاعتذر إليها قائلاً : كلا ، يا سيدتي .

فقالت : يا للأسف ، على كل حال، أرني ما عندك من لعب الاطفال الرخيصة ؟

فأجابها اندريه : ليس عندي كذلك لعب أطفال !

ولم يلبث بعد ذلك حتى أسرع بالكتابة الى موسكو طالباً شحنة من الحقائب والدمى والطبول والسيوف والصفارات . ومن ثم امتلأ الحانوت بأصناف لا تحصى من اللعب .

وكان اندريه يردد على مسامع اصدقائه : « كل هذه اشياء تافهة . ولكن مهلا .. عما قريب سآتي باللعب الثقافية المفيدة ! وسترون ان القسم الثقافي في حانوتي سيقوم على اساس علمي عصري ... »

وطلب شحنات اخرى من اللعب وحديد الرياضة والنرد وادوات الحدائق الصغيرة للاطفال ، ونحو عشرين لعبة تربوية اخرى . وارتسمت الدهشة على وجوه سكان البلدة عندما مروا بالحانوت ورأوا في مكان ظاهر للعيان دراجتين واحدة كبيرة والاخرى صغيرة . وازدادت المبيعات اكثر فأكثر وخاصة قبيل عيد الميلاد ، عندما علق اندريه اندرتش لافتة على باب الحانوت يعلن فيها عن وجود مستلزمات تزيين شجرة الميلاد !

وراح اندريه يردد على مسامع اصدقائه مرة اخرى : « مهلا ، سترون انني سأجلب الى سكان البلدة مرشحات المياه الصحية ، وغيرها من مستلزمات الحياة الحديثة التي لم تخطر ببال احد ، فالعلم لا يمكن تجاهله يا اصدقائي .. »

وسافر الى موسكو ، بعد ان كسب مبلغاً كبيراً من المال ، وابتاع – نقداً وعلى الحساب – بضائع قيمتها خمسة آلاف روبل . مرشحات للمياه ومصابيح وقيثارات ، وسراويل صحية للاطفال ، وزجاجات للرضاعة ، وحقائب ، ومجموعات مختلفة من الطيور المحنطة ... وابتاع كذلك كمية رائعة من الاطباق والصحون قيمتها خمسمائة روبل . وقد سره ذلك لأن الاشياء الجميلة فيها تهذيب للنفس وتنمية للذوق السليم . وما عاد من موسكو حتى انهمك في ترتيب بضاعته الجديدة على الرفوف وفوق خزانات الكتب .

وحدث بينما كان ينظف الرف العلوي ان انهارت بعض الكتب وراحت الاجزاء العشرة لكتاب ميخايلوفسكي تتساقط واحداً بعد الآخر . واصابت احداها رأسه ، بينما وقعت الاخرى فوق المصابيح وحطمت مصباحين منها .

وحك اندريه رأسه وقال : « ما أثقل ما يكتبون ! » . وجمع كل الكتب معاً وربطها ربطاً محكماً واخفاها تحت طاولة البيع . وبعد يومين سمع ان جاره البقال قد حكم عليه بالسجن والاشغال الشاقة لتهجمه على قريب له ، ومن ثم اصبح حانوته معروضاً للايجار . وسر ذلك اندريه اندرتش وطلب ان يعطى حق تأجيره .

وسرعان ما شق في الجدار الفاصل بين الحانوتين باب كبير فأصبحا حانوتا واحداً متصلا يزخر بالبضائع . وكان معظم الزبائن الذين يدخلون نصف الحانوت الثاني ، يطلبون جميعاً كعادتهم الشاي والسكر والكيروسين . لهذا لم يتوان اندريه اندرتش عن الاتجار في اصناف البقالة كذلك .

انه الآن واحد من اصحاب الحوانيت الشهيرة في بلدتنا . يبيع الصيني والسجائر والصابون والخبز والنبيذ الاحمر والنثريات الصغيرة واللحوم المقددة . وعنده قبو نبيذ في سوق البلدة . ويقال انه سيفتح فندقاً وحماماً عاماً . اما الكتب التي كانت في يوم من الايام مكدسة فوق رفوف حانوته – بما فيها المجلد الثالث من مؤلفات بيساريف – فقد بيعت منذ زمن طويل ، بيعت ورقاً قديماً بالميزان .

وفي بعض الاحيان يدور الحديث في حفلات الزواج وغيرها ، بينه وبين اصدقائه القدامى ممن يسميهم اندريه الآن بالاميركيين على سبيل التندر والتفكهة ، حول التقدم والثقافة وغير ذلك من الموضوعات الرفيعة .

فيسألونه مثلاً: هل طالعت يا اندريه العدد الاخير من المرالد الاوروبية ؟

فيجيبهم وهو يحملق بعينيه ، ويعبث بسلسلة ساعته الغليظة : كلا ، لم اقرأه... هذا لا يعنيني، فأنا مشغول بأعمال عمرانية بناءة .

حسن السعران

اطفال اشبيلية

مهداة الى الدكتور محسن جمال الدين

يا احباء الفرحة ،
ويا اصدقاء الشاطيء المزخرف بالنور ،
ويا جوهر الشرف الربيعي ،
هي ذي جيادكم الملوّنة بذؤابة البطولة ،
تتعرى في شبق المياه ،
وتغتسل بقبضة الاحلام ..
وتتفوه باسم عرش المملكة
المخبوء تحت خطوات البحر ..
أترى يا اصدقائي
يعود جديداً فارسكم الفضي الجناحين ،
يبحث عن العطر المقدس ، في مرافيء الغربة ،
ليمسح به عتبات الزقاق ، (١)
حيث تتصالب نعمة الحكمة
وينبوع الشجاعة الهادر ..!
ها انا ، في مرابع القناديل الحزينة ،
اسمع وقع اياديكم
المغزولة بريشة العظمة والفجر ،
وهي تقرع طبول الشاطيء الاسطوري ؛
حيث الحنين يحتضن ابتسامات الفوارس ...
والحب يرضع عيون الامهات ..
والوتر يقتل رهائن الدموع العاشقة ..
وبقية من عنقود لؤلؤي ،
من عطايا الامير الصقر ،
تطعم روح الميلاد والطفولة ،

وعصافير الرحلة الاخيرة ...
فيا اطفال الجزيرة
النائمة في اسرة الصمت ،
الممدّدة على تروس الزمن
ويا جدائل العشق الاخضر ،
وظلال الجراحات الصغيرة ،
هي ذي السفن الناعسة الخطى ،
قد أكلتها اقنعة الليل ،
وخيم عليها جنون الانتظار والوحدة ،
فغذوا السير ، مع مطالع الربيع ،
الى معانقة البحر الرمادي الآمال ،
فربما يتمزق ذلك الكائن الفيروزي ،
في مصبات الآس ومجاري الزنبق ،
وتتطوع عند أذياله ، شارات الظفر ،
وأعراف البعث والاحلام ..
وأنت يا غبطة العاصفة ،
في قسمات الصبح الطفولي ..
ما زلت تتشوفين
الى منازل الروعة والخلد ،
وتتحرقين لمعانقة لذاذات الانتصار ،
فهنا ، في منابت العنبر والعري الطري ..
ستخلد صورة الطفولة الاشبيلية ..
ومن هديل السحر ، والبراءة ،
والخيالات الخضراء ،
سيغزل اخوان الفرحة الندية ،
انشودة اللقاء الاخير ..!

البصرة — عبد الرحمن علي

(١) كان العرب يطلقون لفظ الزقاق على مضيق جبل طارق .

هل الحرب من ضرورات الحياة ؟

بقلم فنيفر بوش المدير السابق لمؤسسة كارنجي في وشنطن

ترجمة يوسف اسعد داغر

ه

منذ خمسين سنة خلت، كتب وليم جيمس (١) (١٨٤٢–١٩١٠) مقالاً بعنوان: « البديل او العوض الادبي للحرب ». وقد تعاقب علينا منذ ذلك الحين احداث جسام: فقد عركتنا حربان عالميتان طاحنتان عرك الرحى بثفالها ونزلت بنا ازمة اقتصادية قاصمة، انقشعت غيمتها وغمتها عن كربة ولوعة حارقة اعقبت عهداً من الازدهار المادي، لم يسبق ان عرفت اميركا شبيهاً له عبر تاريخها. وقد جاء العلم الحديث يشحذ من عدة الانسان الجديدة في الحرب، ويدخل عليها من الرهافة والمضاء والدهاء في الصنعة ما جعل قلبه يهلع من شرها المميت. وطلع على البشرية في هذا العصر حكومة لها من السلطان والطغيان، ما لم تعهد الانسانية، في ما قطعت من احقاب متطاولة واجيال متساحقة، امكر منها ولا ادهى، ولا اخبث، قوسها ابداً موتر، ونفسها تنزع ابداً لبسط سيطرتها على العالم. وتلك الممالك والامبراطوريات التي عهدناها في الامس الغابر مستشرية مستبطرة، استرخت منها الحلقات وتفككت الاوصال، وحلت محلها وطنية جارفة سرت بين الجماهير سريان الكهرباء في الجسم والنار في الهشيم. ولعل اعظم من هذا كله وادهى، هذا الوعي النامي واليقظة العارمة، والادراك المتفتح المتزايد، لواقع الحرب الجماعية، وما تغلفه من شرور وويلات ماحقة ترتعد الفرائص لمرور صورتها في الخاطر، الامر الذي جعل الناس يلهجون بحب السلام ويتمنون من الصميم رفرفة علمه فوق الرؤوس. فكان لا بد، والحالة هذه، من ان نستعرض معاً، هنا، الاسباب والدوافع التي حملت وليم جيمس على ان يستشعر عهداً، تنقطع فيه اسباب الحرب بين الناس ويرتفع كابوسها عن الصدور، بعدما اناخ عليها بكلكله الثقيل، ويعني نفسه باستنباط بديل عنها وعوض منها، وذلك على ضوء ما استجد من ظروف وصروف المعنا اليها لماماً من قبل.

قد سبق لجيمس فرأى بوضوح بان الحرب لا بد من ان تنقطع عن الارض ويرتفع سخطها عن الانسان. ففي الحين الذي كان فيه نشاط البشر والشعوب يتركز حول الاستعداد للحرب ويستغلون العلم في هذا السبيل، نراه يقول: « عندما تصبح الجيوش المتحاربة، الامم والشعوب باسرها، ويسير فن الحرب والتقتيل جنباً الى جنب والانتاج بالجملة، تمسي الحرب اذ ذاك، حماقة وجهالة، كما يمسي النهوض بها عسيراً لا بل مستحيلاً بالنظر لما تجره من اهوال وويلات، ولما تلتهمه من وقود وخامات، من انسان وحيوان وجهاد. »

وهكذا راح يتنبأ بما لا بد ان يحدث، وكله ايمان ان غرائز الانسان لا بد ان تصفو وتلين، وتلطف وتستقيم، وان ما تجيش به طبيعته من قوة وبأس طالما اقامت الناس واقعدتهم وطوحت بهم الى شفا جرف هار، سيعقبه ركود وهمود، ثم عهد من التفاهة، لا طعم له ولا مذاق.

ثم راح جيمس يستعرض حالة القائلين بالحرب المدافعين عن لزومها وضرورتها، ويوضحها باحسن مما اوضحوها انفسهم، مستعرضاً في خاطره الحالة التي يرون عليها العالم بدون حرب: « عالم واحد، خليط من المعلمين والموظفين ومدارس مشتركة بين فتيان وفتيات، وطوائف من المستهلكين والجمعيات الخيرية، وصناعة ومصانع مستشرية، وانوثة وتخنث بعثهان الخزي والخجل. عالم لا اثر فيه للمنافسة فيه والجهد والمصاولة سهل اديمه وانبسط سطحه، لا جبال فيه ولا وديان، لا مشاكل ولا مصاعب، ولا اثر للاقدام فيه ولا للمجازفة والمغامرة والجرأة. تباً لحياة تصبح معها الكرة الارضية اشبه ما تكون مرتعاً للسائمة ».

وقد وقف من هذه النظرة المغرقة الى اقصى حدود الاغراق موقفاً لا ينم كثيراً عن العطف والرضى، اذ نراه يضيف: « لا ارى بان امرأً له ذرة من الرشد والتفكير السليم، يرضى بان يستحيل الامر في دنيانا، بعد ارتفاع الحرب عنها، الى مثل هذه الحالة. » فالروح الحربية هي التي

(١) Will. James - فيلسوف اميركي ومن كبار علماء النفس في العصر الحديث هو المؤسس الحقيقي لمذهب « الذرائع » او Pragmatism. ولد في نيويورك، وتخرج طبيباً من مدرسة الطب في جامعة هارفرد ١٨٦٩ حيث درّس علم التشريح والفيسيولوجيا وعلم الصحة، ثم تولى في الجامعة كرسي الفلسفة. له عدة مؤلفات مهمة، منها: مبادىء علم النفس ١٨٩٠، الاختبار الديني في شتى مظاهره ١٩٠٢، نظرية الذرائع ١٩٠٧، معنى الحقيقة ١٩٠٩، مذهب التعدد ١٩٠٩، بحوث في المذهب التجريبي الراديكالي ١٩٠٩.

تصون ما فينا من حب الاقدام ، وروح المغامرة ، والمرء الذي لا تجيش نفسه بحب المغامرة وبتحسس الجرأة والاقدام، كانت حياته كلها مدعاة للهزء والسخرية ومشاراً للاحتقار . فالحياة التي لا تعود على صاحبها بغرم او غنم ، او لا يكون صاحبها خلالها قدّوماً او سنداناً ، هي حياة تافهة يمجها كل ذي طعم سليم . هنالك نوع من الروح الحربية ، يتمنى كل واحد فينا الا تخمد جذوتها في النفوس ، والا تتجرد البشرية منها او تكون بحاجة الى من يلقنها الناس .

وعندما راح جيمس يتلمس للبشرية بديلاً عن الحرب في الحين الذي ترتفع أسبابها في العالم ، اعوزه الدليل القاطع على ذلك . فارتأى ان تحل الحرب بين الانسان والطبيعة الهوجاء الغاشمة محل الحرب بين الأفراد والشعوب . فمهما يكن من عنف الحرب ومبلغ شدتها بين الانسان والطبيعة فسيصعب علينا ان نسلم من ان حرباً من هذا النوع ، قادرة على اثارة الحماس في الدم وان تهيج المادة الكظرية التي هي الرسول الحقيقي بين الرجولة الحقة والجسم المحارب . ان محاولة الانسان السيطرة على الطبيعة والتحكم بها ، لا يتفرغ لها سوى نفر قليل يعتمدون فيها على العقل ودهائه اكثر مما يعتمدون على القوة البدنية وهكذا تركنا جيمس في براهينه وحججه حيارى ، مشدوهين أكثر منا مقتنعين راضخين . فلنستعرض معاً هنا الحجج التي ادلى بها على ضوء الوضع القائم والنظر فيما اذا كان لنا مخرج او مهرب من قياسه ذي الحدين .

حري ان نلاحظ هنا مـا للنقطة الاولى من شأن . نحن نجاهد في سبيل السلام بكل قوة وايمان . فاذا مـا رغبنا في السير في معارج الرقي والتقدم ، كان لا بد من القضاء على الحروب الكبرى التي اذا مـا وقعت ، هدت البشرية هداً وقوضت دعائمها . فاذا ما ارتفعت الحرب العامة عن الأرض وانتفت عن وجهها ، لما فيها من معارضة للمنطق السليم وليس عن طريق المعاهدات والاتفاقات الدولية ، بقيت الحروب الثانوية او الصغيرة تأخذ مجراها الطبيعي وتسير سيرها المعتاد ، كما بقيت الدول على استعدادها للحروب . ولأول مرة في تاريخ الانسانية يصبح القضاء على الحروب أمراً ممكناً . فليس من دولة اليوم تقوم عن سابق قصد وتصميم بالعدوان على جارتها المهيأة للحرب ، وهي تأمل ان تفوز بالمغانم ، وتوسع رقعتها تحت الشمس ، كما حدث الأمر مرتين في عهدنا هذا . فاذا ما حدث شيء من هـذا ، اليوم ، عم الدمار والخراب بالمعتدي والمعتدى عليه على السواء ، فتندك مدن من الاساس وتزول برمتها من الوجود ، ويصبح الأهلون عرضة للأمراض والمجاعة . هذه حقائق واضحة ، جلية لا تفوت معرفتها اكثر الناس جهلاً . كذلك لا يستطيع اي طاغية ان يؤمن لنفسه ولبلاده المنافع والأرباح من حرب يطلقها جزافاً ليحول انظار الشعب الغاضب . حرب عامة شاملة يطلقها دكتاتور فردي او عصبة حاكمة لا بد لها من ان تجتثّ الحكم القائم من اساسه وتؤدي باصحابه الى الهلكة .

قد يعرض ان تحدث في المستقبل حروب ما ، وعلينا ان نتدارك هذا الاحتمال بكل اهتمام . والحروب الصغيرة المحدودة النطاق التي يحتمل استعمال السلاح فيها على انواعه اداة للتقتيل بالجملة قد تفضي بالنتيجة الى حرب اجماعية عامة . فاذا ما ثارت الكوامن في النفوس ، وجب علينا ان نكبح منها الجماح . فلو كنا من الغفلة وسهولة الانخداع ما نسمح معه بنزع سلاحنا والتخفف من حراستنا لاستهدفنا والحالة هذه من قبل العدو المتربص بنا الشر ، لهجوم صاعق يمنع علينا القيام بردة سريعة واعادة الكيل كيلين وينهي الأمر بضربة معلم قاصمة . ليس بمستبعد قط ان يقوم فريق ممن آلت اليهم السلطة فيقلبون تحت ما ينتابهم من عوامل اليأس ، اعمدة الهيكل ، فيهوي علينا ويدفننا تحت انقاضه . الا ان دوافع الحروب التاريخية الكبرى ونوازعها التي كانت تمكن لها في الماضي ، قد زالت من الوجود او كادت . ليفهم كل من استطـاع ان يقرأ او يسمع بأن اقل تهاون او اي تغاض عن حرب اجتماعية تنشب بيننا ، يُحْسَب علينا انتحاراً .

فالاحتراز والحيطة هما رأس الحكمة في مثل هذا الأمر الجلل ، وادراك الجماهير لاهوال الحروب العصرية آخذ فيها بالاتساع بالرغم بما يقيمون حيالهـا من جدران الحديد او الخيزران . ولدينا اليوم من الاسباب ما يجعلنا نؤمن أكثر من اي وقت مضى ، بأنه يمكن تأمين اسباب السلام اذا لم نكن من المغفلين ولا من سريعي الانخداع .

والنقطة الثانية التي اثارها وليم جيمس تحتاج هي الاخرى الى بعض التعليق . ان الدعاة للحرب والمحبذين لـها يسقط في ايديهم ، اليوم ، وتعوزهم الحجة ، بعدمـا طلع علينا من الاختراعات العلمية والآلات الحربيـة الجهنمية . فمهما اشتد الصخب واحتدمت المطالبة بالحرب ، فلم يعد لهـا بعد اي سطوة على النفوس او اي تأثير .

فماذا بقي لعمري اليوم من تلك المناقب الحربية ؟ فأية شجاعة يجب ان يتحلى بها جندي او مأمور فني عهد اليه باستنطاق الرادار او توجيه الصواريخ المسيّرة ، وما وقع شجاعة الجندي في خط الجبهة عندما يتعرض المواطنون في المؤخرة للقصف الداوي من البر والجو . ولم يعد للشجاعة في حروبنا العصرية اليوم ما كان لها في الحروب الماضية ، بعد ان تشعبت مرافق الحروب العامة او الشاملة واتسعت رقعتها بحيث يمكن القيام بها من بعيد . فلم يَعُد المحاربون ابطال نزال ونضال ، يسعون للحرب والدم يغلي في عروقهم .

وإذ ذاك ، هل نستمر في تطلعنا الى الأمام بانتظار هذا النوع من الاوتوبيا ، هذه الاوتوبيا التي وصفها جيمس في كتابه : « ورطة الجبرية » ؟

علينا الا نخشى بأساً من هذا المصير العابس القاتم . فالجهاد لن ينقطع عن وجه الأرض ولو ارتفع منها كابوس الحروب . وسيبقى قائماً ابداً بين الدول والشعوب ، هذا التنافس السياسي على المقامات والرسائات والمتكآت ، وهذا التنافس الاقتصادي الذي يرتفع أواره اليوم . وسنبقى ابداً نوجس خشية من هذا التغلغل وتلك الدعوة الى الخلخلة والتخريب ، كما سنبقى ابداً حريصين على السير باصدقائنا من الشعوب الفتية لنفضي بهم من خلال الشعاب الملتوية الى مرابض الاستقلال والاستقرار . كذلك لن تنقطع من بيننا أسباب الخصام والاصطدام في حياتنا الداخلية وسيبقى عندنا ما فيه الكفاية من موجبات التنافر والتنابذ .

فاذا ما انتفت الحرب وارتفع سخطها عن الارض ، أصبح عالمنا على غير ما الفنا من صورته وحقيقته . وهؤلاء المنافحون عن الحرب ، المزكّون لها ، انما يستخفون عادة باحدى فوائدها التي اذا ما انتفت اثرت الى حد بعيد على نهج حياتنا ، بوسائل دقيقة . فقد حققت الولايات المتحدة الأميركية في العقدين الاخيرين ، عهداً من الحول والطول والتنظيم . وقد حققت اميركا ما حققته نتيجة منطقية للحرب والخوف من الحرب ، كما انها حققت عهداً من الازدهار لم تعهد البلاد مثله من قبل . ولم يتم للأميركيين هذا كله عن طريق مكاسب الحرب ومغانمها ، اذ ان الحروب ، مهما كانت مغانمها مغرية جذابة ، لا يمكن ان تؤدي الى مثل هذا الازدهار الذي يخيم على اميركا اليوم . فالحرب ليست في الواقع سوى هدر واتلاف لما بين يدي الانسان من خيرات وبركات ، كما هي هدر لنشاطه وعمله وجهده . ففي بعض الدول التي خاضت غمار الحرب ، خرجت هذه الدول وفيها من الدمار والخراب اضعاف ما يمكن ان تعود به الحرب من غنم وربح . أما نحن الأميركيون فقد واتانا الحظ واسعدنا المصير المقدور . وهذا التطور الذي حققنا ، انما تمّ بفضل ما وثقت الامة من اواصر الالفة في الداخل وذهبت في مجموعها تعمل في المصانع ، بعد ان عرفت ان تتدبر بلين ، وفقاً لما تقتضيه مصلحة البلاد العامة ، هذه المنازعات والمهاترات الحقيرة التي كانت تقوم ، هنا او هنالك ، في بعض انحائها ، ولأن الرأي العام اوجب علينا ان نوجه نشاطنا باكمله الى غاية واحدة وهدف واحد . فأين كنا اليوم ، وما عسى ان يكون مصيرنا لو لم نجعل هذا الملاط الوطني الكريم يشدنا بعضاً الى بعض في السنوات العشرين الأخيرة ، او اننا تلهينا بصالحنا الشخصية الخاصة ، وتركنا انفسنا نساق بتيار هذه المنازعات الحقيرة ، او انامِلنا مع الريح نبيّت لبعضنا البعض ويراوغ الواحد منا الآخر ويبريه في السبري القلم .

هل يعني هذا انه في الحين الذي يخيم علينا السلام بسرادقه ويرتفع من ارضنا اي خوف من الحرب ، نعود بانفسنا القهقرى الى ما كنا عليه من خصومات حقيرة ، فننقسم على انفسنا شيعاً وأحزاباً ومعسكرات يغلي كل واحد منا بالحقد والموجدة على الآخر ؟ هل يعني هذا كله ان ما نشهد اليوم في اميركا ، من دولة مزدهرة ، يرفل أهلها بالسعادة والرفاه بفضل ما وطدوا عليه عزائمهم ، ان تعود عودتها بيننا ، مناظر النهش والرفس ، لتحل محل هذه الروح الرياضية في المنافسة الشريفة؟

لدينا الدليل على ان الاميركيين ينظرون الى الامتيازات التي ينعمون بها بفضل براءة حقوق الانسان نظرهم الى امر مسلّم به ، وان لا خطر يتهددهم في ما ينعمون به من حريات اولية . فليس من موجب بعد في نظر الناهجين هذا النهج وليس من داع لهم ليكونوا على اهبة الدفاع عنها . فنحن نرى ان في مثل هذا الرضى ، الخطر كل الخطر علينا . ولكن هنالك شيء واحد في هذه الحياة الحرة التي نحياها في اميركا ، وهو أمر مسلم به جدلاً ونقدره حق قدره . واننا جميعاً على استعداد تام لننافح عنه اذا ما دعا داع اليه . وهذا الشيء هو اتاحة الفرص امام الفرد للنهوض والتقدم على نسبة ما تسمح به مؤهلاته وصحته ، وما فيه من عزم وامكانيات ، دون ان يقف في وجهه حائل او يعترض سيره الى الامام حاجز او عائق .

بعيد عنا الادعاء الفارغ اننا بلغنا هنا ذروة الرقي والتطور. ما زلنا نعاني بعد، من الحواجز التي اصطنعها الانسان للتفريق والتمييز بين الاجناس والعناصر والاقدار. والذي يعنينا هنا هو ان لا نثير العراقيل والصعوبات في طريـــق الفرد تطمح نفسه للعلو والتقدم، والأمر ليس بنادر الوقوع عندنا.

نحن امة قطعت في سبيل تحقيق مثلها العليا اشواطاً لم تقطع مثلها اية دولة اخرى في العالم في زمن ما من الازمان، وباستطاعة اي فتى من فتيان اميركا، مهما كان من حاله او لبوسه، ان يسعى لتحقيق ما يحلم به من امان وآمال ورغائب على قدر ما تسمح بتحقيقه الظروف المؤاتية، وعلى نسبة ما فيه من صدق العزم وزخم الارادة والسعي الواعي. فقد رأينا افقر الاولاد عندنا وادناهم اصلاً وفصلاً يرتفعون الى اعلى المناصب في البـــلاد ويبلغون الذروة في المراتب والمناصب فيتولون ارفع المقامات. فاميركا هي بلاد الحظوظ والفرص للنهوض والتجلي والبروز. فيتحتم علينا ان نحافظ على طابعها هذا وان نقوي صبغته وفعاليته. وهذا الطابع هو الذي يشدنا معاً شداً محكماً في هذه الاخوة الانسانية التي تربط بيننا.

كلنا نتطلع الى الامام ونشرئب باعناقنا للعيش في عـــالم جديد. وهذا التطور العلمي والفني الذي جعل من الحرب في عهدنا هذا نوعاً من الانتحار الجنوني، هو الذي جعلنا ننعم بالصحة والعافية والرفاه والتحرر من ربقة الامراض والعاهات التي تعتري على السواء الاجسام والارواح. وكفاحنا المرير في سبيل تأمين عيش اكرم، ومركز اليق في المجتمع، لم يعد ليفرض بان الفاشل في الحياة، عليه ان يبقى ابداً عرضة للألم والحرمان.

فاذا ما حُدَّ من حرية الفرد في التطور والتقدم او سُدّت في وجهه السُبُل واذا ما توزع الاهلون طوائف وشيعاً لا تنفذ طبقاتها بعضها الى بعض، او بقي الناس ارقاء او عبيداً، او رسفوا في قيود وسدود فرضت عليهم بحيث يتعذر عليهم إتيان اية حركة، استحال بالتـــالي، كل مجهود يأتونه، او منافسة ينهضون بها الى نقمة او نكبة. فاذا ما أدرك المرء انه اذا ما فشل في هذا التنافس وهذا الزحام في العيش مع رفاقه، تعرض ذووه للجوع واصبح مصيرهم في كف عفريت، كان عليه ان يبذل المستحيل ليراعي ما تواضع النـــاس على احترامه من مبادىء الاخلاق والاحترام. وسر هذا كله هو ان نجعل فرص الاستفادة امام الفرد، في حرز حريز، وان نزيد من امكانياتها ونعمل على صيانتها من كل ما يلحق بها من اذىً. قليلون جداً اولئك الذين ينهضون حتى الذروة لان مراكز الذروة قليلة هي ايضاً، ولكن سيتوفر للجميع في هذا السباق الكرامة اللازمة والكفاف الذي يطمعون فيه. اما من شاء، لسبب او امر ما، ان يبقى متخلفاً ويرضى قانعاً بمصيره المقدور، كان له ما اراد بملء اختياره.

بامكاننا ان ننعم بالسلام فننعم بالتـالي بازدهار ورفاه لم يحلم العالم بمثلهما من قبل، شريطة ان تعمّ المنافع العديدة التي يتفتح عنها هذا الازدهار المادي للجميع على السواء، فيصان المجتمع القائم على نظام صناعي، بحيث نعرف ان نتنكب عن الغنى الفاجر والفقر الذليل المتمسكن. فاذا ما تمّ لنا تحقيق هذا كله، هل نعود عودتنا السابقة الى هـــذه المنازعات والمناكفات الخسيسة، والى هذه الدسائس نحوك خيوطها في الظلام، والى هذه المهاترات والمماحكات التي لا طائل تحتها، ام اننا ننصرف الى معالجة قضايانا كرجال لهم كل مقومات الرجولة، من شجاعة وقوة ونشاط؟. بامكاننا ان نختـــار الاحتمال الثاني اذا ما عرفنا ان نحافظ على ما طبعنا عليه من وعي وادراك وتفهم، وعلى مراعاة واقع الحيـاة، واذا ما عرفنا ان نحافظ مع هذا كله، على ما يتوفر لدينـا من فرص النجاح بحيث يمكن ان نزاحم بعضنا بعضاً مزاحمة النـد الحر الكريم لصنوه وقرنه الند الحر الكريم، مرفوعي الرأس، موفوري الكرامة، شأن اناس احرار كرام.

هنا، وهنا فقط، يمكن ان نرى لنا بديلاً عن الحرب التي ارتفعت اسبابها من بين البشر، وهو بديل من شأنه ان يذكي فينا الفضائل التي هي قوام الرجولة الحقة التي عرفت ان تزيح من طريق سير الانسانية الى الامام، ما اعترض تطورنا صعداً من عراقيل حتى طلع على الانسان اليوم في البلدان التي بلغت هذا الشأو البعيد من التطور، حضارة وازدهار ليس للانسان قبيل بمثلها من قبل. فاذا ما اعطينا لحب الكفاح والجهاد الذي ركزته فينا الطبيعة العمياء حقه علينا من النشاط، وعرفنا ان نرفع من بيننا اسباب الحروب العالمية، قد يبقى امامنا مجال واسع للكفاح مع قوى الطبيعة الغاشمة، ومع بعضنا البعض. وباشباع ما فينا من ميل للجهاد والكفاح والاحتراب، نحافظ على ما تميز به الانسان من حيوية وعلى ما يزخر به من نشاط عارم، والا اوهنته اسباب الاستكانة والراحة والعيش الهنيء الرتيب. فاذا ما سلكنا هذا المسلك الموصوف الخليق برجال

احرار كرام ، راح كل منـــا ينتهز ما يسنح له من فرص مؤاتية ، ليخوض معمعان الحياة وفقاً لما يعطى من اقدار ولما قسط له من كفاءات وامكانيات وطاقات . واذ ذاك نرى ان مثل هذا الكفاح لا ندحة لنا عنـه للابقاء على الجنس البشري سليماً ، معافىً ، صحيحاً . يتحتم على كل واحد منا خوضه ودخول غماره بما يلزم من خلق عالٍ واحترام متبادل.

بعد هذا الذي قدمنا له ، يجب الا نعتقد ان الامر انتهى عند هذا الحد . فالانسان بحاجـة ماسة لاستعمال ما اعطته الطبيعة من مقومات الرجولة والحيوية ، في حقول عديـدة : في الرياضة البدنية ، والمغامرات في مجاهيل الارض والفكر ، والمساهمة بالمغامرات والمنافسات والمباريات العادلة التي يشترك بها الآخرون .

لم يحيى ملء الحيـــاة ، الرجل الذي لم يذق يوماً طعم الخوف ولا سرت فيـه هزة الغبطة ، الرجل الذي تتجاذبه عوامل اليأس والامل ، او لم يُمَنِّ نفسه بالاماني العراض . لم يعش ملء العيش الكامل ، الرجـل الذي لم يحلب الدهر اشطره ، وكذلك من لم يعرف يوماً متعة التعاون مع غيره من الاكفاء ، بعمل مشترك ، فلم تعتره يوماً هزة الخلق والابداع .

من استطاع ان يناغي نفسه مناجياً لها ، وهو مرفوع الرأس ، لاكتشافه مجموعة من الحدثان ، او لتبينه الأسرار الكامنة وراء مظهر من مظاهر الطبيعـة ، خفيت على من تقدمـه من الناس عبر التاريخ ، فسهّل باكتشافه هـذا او بمـا ابدى من مهارة وصنعة ، على العقل البشري ان يدرك هـــذه الامور الجديدة ، كان مثله من تسمو بـه الروح لارتقائه جبلاً صعب المرتقى ، أو مثله مثل عدّاءٍ يشعر بالنشوة لانه يقطع مسافة ميل واحد في أربع دقائق . ان مآتي من هذا النوع لا تصدر عن عبقري واحـد بل عن جماعة من الافراد تنبض نفوسهم بالثقة المتبادلة والايمان الواحد يكون قويهم لضعيفهم ظهيراً ، ويشد المتأخر المتقدم ويسنده ، يجعـل كل فرد من افراد الجماعة يشعر بهزة انعطافية يبعثها فيها الخلق والابداع ، وهي هزة طرب أمـام النجـاح تصيبه جهودهم المشتركة في محاولتهم تحقيق ما لم يكن تحقيقه يتسع للفرد وحده .

فاذا ما ارتفعت اسباب الحرب عن الارض ، كان علينا ان نجد متنفساً لما فينا من طاقات وكفاءات ونشاطات موروثة مذخورة . فنحن والحالة هذه بحاجة لرفع شأن ما فينا من قوى وتمجيدها . كذلك يجب ان يتوفر لنا المزيد من الفرص والسوانح المؤاتية لتأمين لذاذات من نوع جديد ليس لها ما للمتع التي أشرنا اليها ، من هزة واسر ، انما هي ابقى على الدهر واثبت . ان ما فينا من حدْب طبيعي نحو الحرب قد قضي عليه دونما رجعة ، وحل محله وثاق آخر ليس له ما للاول من صفة الشمول ، انما هو اقوى والصق بالطبيعة. وهذا الوثاق او الرابطة يمكن ان يظهر في حقول كثيرة ، في المهن والحروف المسلكية وابرزها على الاطلاق حقل العلم او البحث العلمي .

هنالك ضمن المؤسسات والمنظمات التي تقف نشاطها على البحث العلمي ، امكانيات لا حد لها ولا حصر تبرز أمام الفرد. ومثل هذه المؤسسات لا تأبه باعتبارات تافهة ، ولا تقف عند اعذار نافـــلة . كفصل الانسان واصله ومظهره ، وعرقه وعنصره ودمه ، ولغته ودينه . وكل ما تطمح فيه هو ان تتمكن من تجنيد الكفاءات والقيَم ، فتسهل لها أسباب العمل والفرص على التجلي بالتعاون النزيه مع الآخرين . ترغب هذه المنظمات العلمية في التعاون مع اناس : صفت منازعهم ، وسمت افكارهم ، وعلت مُثُلهم ، ينصرفون للعلم بكليتهم ، لاعتقادهم ان حياة العالم ، اكثر من حيـــاة اي محترف آخر ، توفر للانسانية اجمع المتع الكريمة ، وتساعد اكثر مما تساعد الحرف الاخرى على احقاق الخير المشترك الذي نتمناه جميعاً . فعندما تعثر هذه المؤسسات التي تسبل ثرواتها الطائلة ، على رجـل من هـــذا النوع تفتح له صدرها رحبـــاً فسيحاً وتؤمن له ما يتيح له السير في سبيله المرسوم دون ان يخشى الاحابيـل المصطنعة ، فيحلق في اجواء العلم ومجاهيل الكشف العلمي ، ما شاء له التحليق ، وفقاً لما بين يديه من ذرائع ولما ركز فيه من امكانيات وطاقات ولما يبني عليه رصفاؤه من آمال وما يحيطونه به من احترام واجلال . ان متطلبات هذه المؤسسات صعبة المراد ، فاذا ما تحققتها في شخص تمت له الهيئات العلمية ، بذلت له من التسهيلات ما لا يقدر بثمن .

اينقطع دابر الحروب ؟ فالسلام في متناولنا اذا كنا على شيء من الحكمة والدراية . فانقطاع دابر الحرب لا يعني قط انقطاع حبل الجهاد الأكبر في سبيل الحياة الفضلى والعيش الرفيه الأمثل . والشيء الذي لا مراء فيه ، هو ان لا نهاية قط للفرص والسوانح المؤاتية ، وهي فرص تعطي حياة من يحياها ويؤتاها وفقاً لما رسمنا ، الرجولة الحقة والقدرة على الخلق والابداع .

يوسف اسعد داغر

من اوراقي

مهداة الى كل فلسطيني يحلم ببلاده

٥

مع ريشتي

تناولت ريشتي ، ونفخت فيهـــا من روحي ، فكانت ألماً يعيش في كياني ..

بسمة عـــذاء انتحرت على شفتي ريشتي ، فكان لصوتهـا حشرجة ، وفي حنجرتها كلمة .

أعطيتها مفتاح قلبي ، فتعرفت على سطور الانسانية المعذّبـــة سطراً . . سطراً . وبقدر الأخذ يكون العطاء .

انهـا تقرع رتاج المستقبل بحروف نابضة الحياة ، وكلمات بيضاء كقلب طفل ، يانعة كصدر عذراء ، ولكنها ملتهبة كنقمة المشرّدين .

ريشتي تعيش معي ، في زحمة القلق ، وجلبة الضوضاء ، في هذه المدينـة التي تسقط فيها قيمة الانسان بقدر اغتصاب اخيه الانسان .

قصة شعب دامية ، كتبتها ريشتي في هذه المدينة ، أمـــام شمعة تعاني سكرات النزع الاخير . . . لم تلفّق اخبارها لانها عاشت معه ، وكانت تجتر احزانه كأنها تتساقط أمامها من كل خلية في جسده .

من يأخذ مني لاجلب لارضنا السليب الحرية من بعيد؟! .. انها تترقب بصيص النور من محارم الفجر واعطاف الديجور .

وهل ينفع ذهب الدنيا باسرها أمام شعب مشرّد ؟! ..

نحن لن ننام على الضيم ...

هكذا همست ريشتي حين كنت اسامرها ونحن بعيدان عن الجلبـــة والضوضاء ، نساهر شمعة تحترق ، وتعاني آلام الفراق ، فكان لي منها عبرة ، ومن حديثها حكمة ...

لن ننام على الضيم ...

لقد علمنا الالم كيف نخرج الافاعي من مدينتنـــا في لهب القيظ لان الشمس تعمي أبصار من لا يتعشقها ... نحن لم نخلق في الظلام ، وانما في النور ، ولا ارقاء وانما احراراً في فضاء حياة واسعة .

لنا في المدينة اصدقاء ، هم في ابراج النور وعالم الضياء ، ولهم اصوات كأنها هدير بحر صاخب ، تريد الحرية ، تريد الحياة ، تريد العيش الذي يضمن لهـــا البقاء ، فاشباح الظلام تموت دائماً أمام دفقة النور ...

وها قـــد زرع الحرف الفجر على شباك غرفتي ، وسكب النور على الدرب ، وعلى شفاه الغاب ، وأخيراً على المدينة .

فيا ايتها الطبيعة الجبّارة ، ويا ايتها الشمس المضرّجة بدمائها عند المغيب ، وانت ايتها الانسانية المعذبـــة ، سجلي جميعـــاً على صفحات الخلود ، بحروف نابضة الحيـــاة ، تاريخ فجر قريب ، وحرية تسمو ، وشعب يعود ...

لاجئـــة

اجترّت احزانها التي كانت تضج كدم العناقيد في عروقها .

بالامس ، ملأت جرتها الحمراء ، والليل يرتجف ، فيا كل عروق الدوالي اليابسة .

انها في ميعة الصبا ونضارة الشباب زهرة ذابلة .

فمن خمر الدوالي سمرتها ومن سحره عيناها .

حياتها قصة الانسانية الموؤودة في مهدهـا وحديث المحبـة التي ماتت على الارض التي انبثت عليها .

لم الالم نفسه ، واتى بأخشابه يحرقها في هيكل ذاتها ، فكانت مجامر ناره تأكل جسدها الذاوي كما تأكل النار الهشيم .

لقد اترع كأسها بأمواج الدموع ، وملأ حياتها بالاشواك الدامية .

قوّة غاشمة حطمت على قلبها كؤوس الاحلام ، وأراقت رحيق حياتهـــا بكهف الظلمة الحالكة .

اجثـ ايها الالم على ضفـة نهر الدموع والاحزان ، ورتّل يا قلب في صمت رهيب نشيد الانسانية المعذّبـــة في هيكلها الدامي .

اركع ايها الليل بخشوع امامهـا ، وصغ من أنـاتها اغنيـة الالم الحزين ، وانشيء من قيثارة نفسها لحناً سرمدياً خالداً ترتله الانسانية الهالكة على مسمع الوجود في ظلال الابدية .

اسجدي ايتها الليـالي امام ظلمات الحيـاة ، وتمايلي يا احزان الدهور على قدمي لاجئة ! ..

وأنت يـــا قلب تمرّغ بانشودة الاحزان ، وردد ترتيلة الآلام ...

فيا ايها الجمال الحزين ، ويا ايتها الطبيعة الغضبى ، وانت ايتها الانسانية المظلومة رتلي معاً ، اغنية الآلام بصوت رتيب .

فعلى بساط الاوجاع صدى لهيب الالم بتراتيله الصاخبة . . . يلثم ثغرهـا بقبلة محرقة ، ويتوسد صدرها الناهد كما يتوسد الرضيع حضن امه .

لاجئة ...

لملمي اشواك الحياة واحرقيهـا في مجامر القلوب .

ازرعي الانّات الموجعة على طريق العين ، وعلى شفاه الغاب ؛ وأخـيراً .. على المدينة .

طوبى للانسانيـة ، وطوبى للذين عرفوا الحياة وخبروا مسالك الوجود فاستجابوا للمعذبين ...

جبع – لبنان **اديب الحر**

اغاني لمانويل ماجادو

○

اغـــاني

خمر – عواطف – قيثارة
يلحن الاغاني لبلادي
اغاني

من قال اغاني قال اندلس
الى ظل بارد من شجرة عنب قديمـة
شاب اسمر يدغدغ القيثارة
شيء يهدهد وشيء يمزق
بقايا واجمة من سحنة عربية
ليست الحياة التي ضيعت مهمة
وبعد كل هذا ما تكون الحياة ؟
اغاني

اغني القلق الذي ضيعته
ام . قلق . حظ . قلق . ام ميتة
عيون سوداء وحظ اسود
اغاني

لاجلهم روح الروح مفتوحة
اغاني من بلادي
اغاني لكن من الاندلس
قيثارتي ليس عندها الحان اخرى

حديث النافورة

ليست النافورة صامتة
ليست صامتة
تضحك – تقفز – تتحدث – تتألق
الحان موسيقية مختلفة
هذا الصمت ليس من النافورة
انه من الطبيعة
لكي تودع الشمس وهي تموت
النافورة ليست صامتة
ليست صامتة
مجاري النافورة شرايين فضية باردة
لليلة حالكة السواد
تتماسك وتفترق
تتصاعد وتنزل
تتحدث ولكن لا يفهم احد ما تقول
متى يعود الفجر ؟

حديقة بدون حارس

حديقة بدون حارس
هرمة بدون روح
ايتها الحديقة ميتة اشجارك
لا تحركها النسمات
ولا تغرد فوقها الاطيار
في السواقي بقية ماء راكد
تغمرك وحشة بيضاء
ايتها الحديقة ايتها الحديقة ماذا عندك ؟
وحدتك الكبيرة
لا تدع مجالاً للرثاء
الناظر اليك تموت نظراته
مقبرة بدون قبور
بدون صوت . بدون ذكريات . بدون امل
حديقة بدون حارس
حديقة هرمـة
هرمة بدون حارس

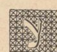
ذكرى

هذا ما بقي في النفس
ذكرى امسية بعيدة
ذكرى من الصعب ان تعرّف
من الحماقة ان نعطيها
اسم مكان . تاريخ . وطن
لا تعرف بأكثر من انها
ذكرى امسية بعيدة

باقر سماكة   جامعة برشلونة

الشاعر مهدي السيد داود

بقلم علي الحسيني



يختلف الباحثون والادباء المؤرخون ، في تقدير الدور الذي لعبته الأسر في تطور وتنشيط الحركة الادبية الفراتية في القرن التاسع عشر الميلادي . فقد ساهمت هذه الأسر في مد يد العون الى الادب والادباء — وخاصة الشعراء منهم — سواء كان هذا العون مادياً او ادبياً . ويمكن ان نشبه وضع الشعر في هذه الفترة ، بوضعه في العصر العباسي الثاني ، فأمراء الدويلات وملوكها كانوا يحتضنون الشعراء بعنايتهم وتوجيههم طبقاً لاغراضهم السياسية ، وكذلك اصحاب الأسر يفعلون .

ويمكن ان نعتبر وجود هذه الاسر عاملاً رئيساً في نمو الاغراض التقليدية للشعر ، كالمدح والرثاء والتهنئة والخ ...

ومن هذه الأسر ، مَنْ كان مِنْ رجالها ادباء ايضاً ، كأسرة السيد سليمان الكبير ، التي نبغ منها في الشعر والأدب كلٌّ من سليمان الكبير وسليمان الصغير وحيدر الحلي (١) والسيد مهدي السيد داود (موضوع البحث) وعبد المطلب الحلي . كما ان هناك عدداً آخر من رجال هذه الاسرة قد نبغوا ايضاً .

وقد مرَّ علينا ذكر السيد مهدي ، في دراستنا للسيد حيدر الحلي . ونود الآن ان نتوسع في دراسته ودراسة شعره وحياته ، ففي ذلك ، ولا شك ، بعض الفائدة المتوخاة من وضع هذه الدراسات .

حياته واحواله

فالسيد مهدي هو حفيد الشاعر سليمان الكبير . وقد ولد في الحلة سنة ١٢٢٢ هج (١٨٠٣ م) ، ونشأ فيها . وقد حمل عبء تربيته اخوه الشاعر سليمان الصغير والد الشاعر حيدر الحلي ، وما ان بلغ من الشباب البداية حتى بدأ يدرس ويتثقف . فدرس علوم العربية والأدب على اخيه المذكور ، ودرس الفقه على الشيخ حسن بن جعفر آل كاشف الغطاء ، مؤلف كتاب انوار الفقاهة .

على ان ما حصله من دراسته هذه ، لم تحقق الرغبة التي نشأت في قرارة نفسه لمواصلة الدراسة ، فسافر الى النجف ، طالباً العلم وناشداً توسيع مداركه ، وكانت النجف آنذاك مركزاً للحركة الدينية والادبية والفقهية وكان استاذه الأول في النجف هو الشيخ محمد حسن الشيخ باقر ، مؤلف كتاب « الجواهر » في الفقه .

ومن الطبيعي ان يتعرف السيد مهدي خلال بقائه في النجف على علمائها وادبائها وشعرائها ، مما كان له — ولا شك — الأثر الحسن في تطور شعره وتوجيهه الوجهة الحسنة .

وعندما عاد الى الحلة ، كان السيد مهدي القزويني — من زعماء مدينة الحلة آنذاك — وقد بدأ بنشر رسالته الاصلاحية ، فآزره شاعرنا ، وعُدَّ في هذا المجال من اعظم مؤازريه .

ومن الجدير بالذكر هنا ، ان شاعرنا ، كما يروي المؤرخون كان من كبار الادباء والشعراء ، ومن المطلعين على علوم العربية اطلاعاً واسعاً . وقد وصفه احد المؤرخين بغزارة المادة وكثرة الوقوف على اشعار العرب وتاريخهم وسير رجالهم . فما لبث ان عرف في الاوساط الادبية في الحلة ، وعُدَّ من شيوخ الادب ومن صدور رجاله ، كما انه نهض بالزعامة الدينية التي توارثها عن اعلام اسرته على اكمل وجه .

وقد وجدت في مخطوطة تاريخية كتبها السيد مرزة الحلي الشاعر (٢) ، ما يشير الى ذلك ويضيف اليه الخلق القويم والفقه . كما انه يشير الى اجتهاده بفكرة منيرة وقريحة غزيرة ، حتى كان عنده تلاميذ من فحول شعراء وادباء ذلك العصر ، ومن هؤلاء الشعراء حمادي الكواز (٣) وحسن مصبّح وحسون العبدالله والشيخ علي عوض ومحمد الملا وحمادي نوح وغيرهم .

ومن هذا يتضح لنا كون شاعرنا صاحب مدرسة ادبية رفيعة المقام آنذاك . على ان اعظم خدمة قدمها السيد مهدي الى الادب العربي ، تربيته للسيد حيدر الحلي أمير المراثي في

(١) راجع دراستنا عن حيدر الحلي في مجلة الاديب اغسطس ١٩٥٧ ، ودراستنا عن سليمان الكبير في الاديب ايضاً — نوفمبر ١٩٥٧ . (٢) كتبت هذه المخطوطة سنة ١٣٢٤ هج (١٩٠٥ م) ، وتقع في ٥٤ صفحة من القطع الصغير . وتوجد عند ابن المؤلف السيد سليمان المرزة الحلي ، في قرية الحصين بلواء الحلة . (٣) لنا دراسة طريفة عنه ، سندفع بها للنشر .

الشعر العربي تربية ادبية رفيعة .

ومن الطبيعي ان نرى السيد حيدر متأثراً تأثراً شديداً بعمه ومربيه واستاذه الاول . وفي خلال دراستنا لديواني الشاعرين المذكورين ، نجد تشابهاً كثيراً في المعاني . ومما لا ريب فيه ان السيد حيدر ، قد اقتبس هذه المعاني وصاغها باسلوبه الخاص . ومن امثال هذا التشابه قول السيد مهدي :

وان غيّر الخطب الوانها   ترى وجهه في الخطوب طليقا

وقول السيد حيدر :

تزيد الطلاقة في وجهه   اذا غيّر الخوف الوانها

وأيضاً ، قول السيد مهدي :

بالقضب زوجت النفوس وطلقت   في الله دون امامها أزواجها

وقول السيد حيدر :

ووفت بما عقدت فزوجت الطلى   بالمرهفات وطلقت حو باهاه

وقد توفي السيد مهدي في الحلة في الرابع من محرم سنة ١٢٨٩ هجـ فكان لوفاته رنة أسف في اوساط الادب والدين في الفرات الاوسط عامة ، وفي نفوس تلامذته واقربائه خاصة . ومن ابدع المراثي التي قيلت في حقه ، مرثية ابن اخيه السيد حيدر ، والتي مطلعها :

أظي الردى أنصلتني وهاك وريدي   ذهب الزمان بعدّتي وعديدي

شعره ومكانته الادبية

ومما لا شك فيه ان السيد مهدي كان ذا مكانة رفيعة بالنسبة لأقرانه شعراء تلك الفترة . والذي نود ان نبينه هنا هو كينونة شاعرنا كزعيم لمدرسة أدبية ذات اتجاه خاص ، فالذي نعرفه عن شعره ، جنوحه الى التعبير عن الوجدان تعبيراً يقرب الى الواقعية الصريحة مع ادخال شيء من الخيال . ونجد في الأغراض التقليدية لشعره ، كالمدح والرثاء والتهنئة ، ما يوضح لنا هذا . وقد سار على هذا الاتجاه الذي رسمه لنفسه ، كثير من تلامذته كالسيد حيدر الحلي – في غزله الجميل في قصائده الكلاسيكية الاغراض – وحمادي الكواز – في تعلقه الشديد بالعاطفة .

ومن امثال ذلك هذه الأبيات الرثائية التي يصوّر بها حزنه الشديد وألمه لاستشهاد الامام الحسين (ع) :

لا غرو لو قد بات يسرح عن فم العذال اذنا
ويطارح الورقاء ان حنّت لفقد الالف حنّا
متفننا في نوحه يبدي لها فنّا وفنّا
فبعينه الدنيا غدت من عظم يوم الطف سجنا

اما الميزة الاخرى التي يتصف بها شعره ، فهي جنوحه نحو التعقل ، وهذا واضح في شعره الحماسي الذي نجد فيه قوة في الخيال وبراعة في التصوير .

ومن شعره الحماسي هذه الابيات :

العز بي عن المقام حلقا   لغاية من العلى لا ترتقى
هل كيف اغدو للزمان ضارعاً   أيضرع المولى لعبد أبقا
ومن غدا من اول الدهر الى   آخره الى السهى معتنقا
كيف على ثرى الهوان خطه القنا لحر وجهه ان تلسقا
وهو الى ذرى غرته القعساء طائر العقول ما رقى

ومن شعره الذي يتصف بهذا الوصف شعر الحكمة ومنه هذان البيتان :

اقطع هديت علائق النفس   أتعيش في أمل الى الرمس
تمي وتأمل في الصباح ترى   خيراً فتصبح مثلما تمسي

ولعل أجمل ما في شعر الحكمة عنده ، هذه التأملات الفلسفية التي تجعلنا نعتقد باهتمامه بالمحتوى اضافة الى اهتمامه بالقالب ، وهذا يعني الخروج بصورة جزئية عن القوالب الجامدة للشعر التقليدي الذي كان رائجاً آنذاك .

ولم يكن المدح في شعره مدحاً تقليدياً ، بل كان مدحاً واعياً له مبرراته ودوافعه كما ان له صفاته التي تميزه عن المدح التقليدي . ومن مدحه هذه الأبيات من قصيدة طويلة :

أتتك ومنها الشمس في الوجه تشرقُ   ونشر الخزامى في الغلائل يعبقُ
رشيقة قدٍ في سهام لحاظها   حشا قوسها عن قوس حاجب ترشق
ولم تشبه الاغصان قامة قدها   وأنى ومنها قد مية أرشق
وليس التي بالماء يورق غصنها   كمن هو من ماء الشبيبة مورق
لقد فضحت في عينها جؤذر النقا   وان هي في عينيه ترنو وترمق
تميس وقرطاها قليقان والحشا   على وفق قرطيها من الشوق يعبق

ومن شعره هذه الابيات الجميلة من قصيدة طويلة :

قد اختلست منه عيوني نظرة   ارتني لهيب النار في جنة الخلد
وفي وجنتيها نظرة شك ناظري   أمن دم قلبي لونها أم من الوردِ
وفي نحرها عقد توهمت ثغرها   لآلؤه نُظِّمن من ذلك العقد
وما كنت ادري ما المدام وانما   عرفت مذاق الراح من ريقها الشهد
وقد اهتزاز القد ما هزة القنا   وقبل حسام اللحظ ما الصارم الهندي

آثاره ومؤلفاته الادبية

اما مؤلفاته فهي ثمنة واهمها :

– مصباح الادب الزاهر : وهو مخطوط ثمين ترجم فيه

الشعلة الهادية

يا شعلةً من جمـال   في كهف نفسي أضأتِ
من أيِّ غيبٍ أتيت   من أيِّ أفقٍ طلعت
من الأزاهر أم من   شُعـاع نجم خلقت
سمراءُ والسحر يسري   في الروح حيث سريت
والجاذبيــة تمشـي   في النفس اين مشيت
لا السمر لا البيض تبدو   شيئاً اذا مـا ظهرت
لا الفلُّ لا الشهب تحلو   لديَّ حين ابتسمت
سمراء أيقظت حـبي   لـمـا اليَّ نظرتِ
يا نظرةً ايَّ معنى   وايَّ دنيــا طويت

هل تذكرين مسيراً   في الليـل تهتُ وتهتِ
لمّا مشيتِ بجنبي   « أنا » تلاشى بـ « انت »
حين اهتـديت اليك   ضلتْ دربي لبيـتي
كم من ضلالي دهشت   وكم عليـه ضحكت
لو تفهمين شرودي   يا منيتي لبكيتِ
كانت حيـاتي رماداً   ولا احس بوقـتي
واليوم اشعلتِ روحي   بنظـرةٍ وذهبـتِ
حديثك العذبُ باقٍ   في السمع مهما سكت
وطيفُ وجهكِ بادٍ   في الوهم مهما ابتعدتِ

ما أتعس العمر لمـا   عن ناظريَّ احتجبتِ

جدة   علي دمر

لعدد كبير من شعراء عصره . وقد قدّمه هدية لآل كبة ولا يزال الكتاب محفوظاً في مكتبتها ببغداد .

ــ المختار من شعر العرب : ويقع في جزئين .

ــ المجموع : وهو مخطوط أيضـاً ، ويبحث عن انواع البديع وتراجم لبعض الشعراء ونوادرهم ومحاسنهم وسقطاتهم وبعض الحكايات . ويقع في ٢٨٢ صفحة .

ــ ديوانه : وهو على قسمين ، الاول فيما قاله في العلمـاء والاعيان وخاصة أشراف بغـداد ، والثاني فيما قاله في رثاء ومدح آل البيت . ويقع في ١٨٦ صفحة .

ومما يثير الاسف حقاً ان تبقى جميع مؤلفـاته مخطوطة وهي على اهمية كبيرة وخاصة ديوانه ، واننا لنأمل ان يلتفت من يعنيهم الأمر الى هذا الموضوع ويفوه حقه .

الحلة ــ العراق   علي الحسيني

كان الهاتف يدق بعنف . انها السيدة سعاد تسأل عن فهمية وشعاع ، بينا كانت تمرن ابنهـا على السباحة دون بلل .

وكانت الصانعة سباقة كعادتها في مثل هذه المواقف الحرجة :

— ان فهمية تذاكر في غرفتها وشعاع تكتب وظائفها في الصالون ! !

— . . .

واقفل الخط !!

* * *

في مثل هذه الايام من شهر تشرين الثاني ، حيث يبسط الخريف جناحيه على الطبيعة، وتأخذ الأوراق بالاصفرار، فالسقوط ، تبدو الشمس اذا شقت حجب الغيم ، نعيماً دافئاً ، يتشوق الناس لأن يتأملوه ، ويزيدوا في تأملهم اياه ، مستسلمين لطقس يشبه الربيع في أكثر من وجه .

وبينا كانت الساعة تشير الى التاسعة ، كان سعيد بك يوشك ان يخرج من منزله ، وهو يودع زوجته وبناته الثلاث : انيسه في الجامعة ، وفهمية طالبة في البكالوريا ، وشعاع طالبة في الاول ثانوي . ولعله قد تعجل ولم يستطع ان يؤجل سفرته اليوم الى القرية . اذ لا يزال الفلاحون في انتظاره لتوزيع البذار ومحاسبة العمال الاجراء لديه ، عن العام الفائت ، والاتفاق معهم على السنة القادمة .

وسعيد بك كعادته لا يأخذ سيارته الى القرية . . انها سيارة جديدة ومن غير المستحسن ، ان تذهب بجدتها ، طرق القرية ، وكذلك المئة من الاميال التي عليه ان يقطعها ليصل قريته . انه باختصار ، يكلف السائق ان يأخذ السيارة الى مرآب مجاور . ويعطيه بعد ذلك مأذونية عن طيلة غيبته ، ويستأجر سيارة اجرة تنقله الى قريته . فاذا ما اراد العودة ، عاد في سيارة ما .. وكان جرياً على عادته في التزمت لا يطيق ان ينفرد السائق بزوجته . . او بناته . كان لا يترك السيارة تحت تصرفهن ، ولكنه من ناحية اخرى ، كان يضع مفاتيح السيارة في عهدة زوجته ... احتساباً للطوارىء !!

لا تدري فهمية لم تثير ايام الاحاد في



رأسها شتى الذكريات ، بالرغم من انها وعائلتها من الناحية الرسمية يحتفلون بيوم الجمعة ، كيوم راحة ، او عيد يتكرر كل اسبوع . وعندما وقفت على الشرفة المطلة على حديقة البلدية ، أثارتها من جديد ، الشمس الساطعة ، والاشجار الباسقة ، والورود الملونة ، والمرج الذي غطى الارض ، وقد التمعت عليه ملايين الحبات اللؤلؤية المنثورة من عقودها ، حيث كان البستاني يرش العشب باستمرار .

هرعت فهمية الى الداخل تبحث عن أمها ، لتجثو على ركبتيها، ضاحكة مستعطفة ، باسمة الثغر حيناً ، دامعة العين احياناً :

— ما ضرنا لو خرجنا اليوم في السيارة يا اماه ؟!

كانت السيدة سعاد — زوجة سعيد بك — امرأة في الاربعين من عمرها ولكنها ذات قلب حار ، لعله في الخامسة والعشرين من عمره السعيد ، وهي الى اليوم لا تزال برغم الفتيات الثلاث تفتش عن المغامرة ولكن بحذر، ولا تزال تنتقي بدقة ، صويحباتها اللاتي يجدن احاديث الغزل وحبك المغامرات، ويستطعن اذا حزمن أمرهن ان يسبحن دون ان يخلعن ثيابهن . . ودون ان يتبللن كذلك !!

فكرت السيدة سعاد في الامر — مرة .. ومرتين — وردت لفتاتها انسها الدائم بأن اخذت سماعة الهاتف لتحدث المرآب بأنها تريد السيارة مع السائق .. اي سائق ما ، فوعدها حارس المرآب ، اذا ارسلت مفاتيح السيارة مع الصانعة . . وقد عزمت هي على ذلك !!

كانت المرة الاولى التي تخرج فيها عائلة سعيد بك في السيارة . ولم يكن لسعيد بك ان يظن مثل هذه الظنون ذات الاستحالة التامة ، والتي تدل ولو من طرف خفي الى انه قد يحدث ذات يوم..تنطلق فيه السيارة في نزهة طيبة، حاملة الفتيات .. وامهن .. وسائقاً غريباً، في نزهة كل ما فيها رائع مثير!!



أخذت انيسة طالبة الجامعة تتحمس لفكرة اتقان سوق السيارة . انها لو كانت تجيد ذلك، لكانت الان هي التي تتصرف في المقود .. وهي التي تتمتع بلذة الضغط على البنزين لتزداد السرعة .. وكذلك لايقاف السيارة بواسطة الفرامل .. بالاضافة الى ذلك الشعور المريح الذي تشعر به المرأة .. اية امرأة عندما ترمقها العيون وهي تخطف الابصار باناقتها . واناقة السيارة التي تقودها ..

كان السائق من الرجال الاذكياء ، فعرض عليها ان تتقن هذه المهنة الجديدة ، وابدى استعداده لان يدعها تحمل شهادة السوق في شهر ، بينما هي لا تستطيع ان تحمل شهادة الحقوق الا بعد اربع سنوات . واشار في قالب من النكتة :

ـ ان السائق الماهر يتناول في الشهر ثلاثمائة ليرة . انه موظف في الدرجة الخامسة .

ولكن فهمية لم تكن لتفكر بذلك كله ، ماذا يهمها ان تتقن اختها قيادة السيارة ، وما يعنيها في قليل او كثير ان تعبر امها بحر المانش مثلاً ، دون ان تخلع قفازها المعطر ? انها تعرف الكثير ، ولكنها تريد ان تفتح قلبها على دنيا جديدة .. وكانت من نافذة السيارة تتأمل الناس وقد بسطوا اجنحتهم كالفراشات ، يلمع عليها الحب كأنه الق الذهب اذا ضمه من هنا شعاع .. ومن هناك شعاع . وكانت تتأمل الوجوه .. وجوههم .. فتتبين في سرعة ، اطياف السعادة والجذل العميق وكذلك صور القبلات العطشى المطبوعة على ثغور .. رقيقة تكاد تذوب رقة وحنانا .

وانساقت فهمية في احلامها . انها عرفته منذ ثلاثة أشهر ، كان جميلاً ، قوياً ، وصادقاً . ولكنه لا يستطيع ان يلقاها مرة واحدة، لقاء عميقاً طويلاً عريضاً ، يسبر به اغوارها القصية ، المتعطشة للسحر والمغامرة والفتنة الصارخة . انها في الصباح تذهب الى المدرسة برفقة والدها . او المربية الغليظة القلب . وعند الظهر يعود بها آذن المدرسة بالذات .. وله راتب مغر من سعيد بك لنقل الاخبار وبسط أذان الوشايات وهي ما استطاعت يوماً ما ان تفلت من هذا الحصار المعنوي والمادي معاً وقلما تستطيع ان تنفرد به ساعة او نصفها ، تحدثه ويحدثها ، وقد تقبله ، او تدعوه من طرف خفي لتقبيلها ! ولكن اليوم أتستطيع ان تلقاه ، لعلها تقدر على ذلك ولكن كيف ? ساءلت نفسها هذا السؤال ، وقلبته على وجوهه المختلفة فلم تكد تظفر بجواب . وان كانت لم تقطع الامل فيه ...

في خلال تطوافهم ، اضطروا لان يملأوا خزان السيارة من جديد لم يتركوا بقعة في المدينة الا وزاروها .. ولم تفتهم فرصة الا واستغلوها . كان الوقت مثل عنقود العنب ، فعصروه حتى آخر قطرة . وان كان قد بقي عليهم امر واحد لم يقدموا عليه ، وهو ان يذهبوا جميعاً ، وبالسائق الجديد الى القرية ، حيث يعرضون على سعيد بك انموذجاً حياً من حيلة النساء في حياة ، اختلطت فيها المسؤوليات .. وضاعت الاوامر التي كانت تجعل الحياة مستقيمة وذات وجه واحد قد تكون مملولة ولكنها حياة نقية . والا أيبطل سحر النساء اللاتي يسبحن في كل البحار دون ان يظهرن للمتفرجين انهن بقلق .. بقطرة واحدة او قطرتين . وخطر للصغيرة مثل هذه النكتة المؤلمة فسألت امها :

ـ لماذا لا نزور قريتنا يا امي ?

فاجابتها امها والسخرية تغلف جوابها كله :

ـ اخشى ان يغلب الفرح على قلب ابيك ، يا بنيتي ، فيميته السرور الزائد لا سمح الله . او لا تعلمين أن اباك مريض بمرض القلب يا شعاع ?

كان السائق يتأمل دون ان يحيل الطرف فيما حوله ، صورة واضحة عن حياة عائلة ، تسترها اربعة جدران وسقف ، واضواء لا تتسلل عبر النوافذ ما دامت تمنعها الستائر المسدلة .. وحاول اكثر من مرة ان يبسم لمثل هذه الحياة التي يحياها اكثر الناس : الزوج يحاول ان يسن القوانين ، والزوجة تغشه في تنفيذها .. والاولاد ينافقون ، ويكذبون ، وكل من فيهم يضحك في سره ، من امه وابيه .. وكل واحد من افراد العائلة يعلم ان اوامره قد لا تنفذ وان حيله قد تكتشف ولكنه بذلك راض قنوع ، ولكن السائق نسي ذلك وتركه للريح تذروه في آذان بعضهم وفي قلوب قلة قليلة منهم .. نسي كل هذه الخواطر عندما دس في جيبه عشر ليرات تعطرت طويلاً في حقيبة السيدة سعاد ، وبينا كان يضع السيارة في المرآب القريب من

منزل العائلة ، ويعطى المفاتيح للصانعة السمراء المفرطة في السمنة ، كان يقول للحارس وهو يحـــاول الخروج من المرآب :

ـ قد أراك ثانية . ولكنني قد لا ارى نكهة ركاب مثل نكهة اليوم !

تناولت السيدة سعاد مفاتيح السيارة من الصانعة ـ التي ظلت صورة السائق تراود خيالها المقصوص الجنـــاح ـ ووضعتها في الحقيبة ، وعاودت العائلة احاديثهـا الممتعة ، واستعادت بعض خواطرها من النزهة بالسيارة .. وكيف يجب ان تكون في كل يوم .. او كل اسبوع في غيبـــة من رب العائلة بالطبع !!

عندما حاولت السيدة سعاد ان تذهب الى بيت صديقتها ، بعد ان هتفت لها .. داعيـة .. واعدة اياها ، بعقوبات صارمـة فيما اذا امتنعت عن الحضور ، صاحت فهيمة من اعماقهـا برغبتها في الذهاب معها . ولكن امها أبت عليها .. ودعتهـا كي تساعدها في ارتداء ثيـاب السهرة . ان اليوم دور اختها انيسة ، طالبة الجامعة ، وكذلك طلبت اليها ان تحضر لها الحقيبة الجديدة التي تناسب ثوب السهرة الوردي ، وان تفرغ ما في الحقيبـــة السوداء من اغراض !

افرغت فهيمة في الحقيبة الجديدة ، كل ماكان في الحقيبة السوداء ، من علبة السجائر المذهبة ، والولاعة السحرية ، الى حافظة النقود ، واشياء اخرى لا غنى للنساء عنها ! ولكنها أبقت مفاتيح السيارة ، دون ان تدري لم فعلت ذلك ؟ انها شعرت وهي تضغط بالمفاتيح على صدرها انهـــا تضم حبيبها ، وتنعم بدفء قبـلاته الحارة ، وتسند رأسها الجميل الى صدره بالمقابل ، وتحاول ان تحلم .. وتبتسم ، وتنعم بالحياة .

وبينما كانت السيدة سعـــاد تخرج وابنتها ، طالبة الجامعة ، كانت شعاع تستعد لكتابة وظائفها ، اخذت فهيمة تتحين الفرص للقائه . ان اليوم قـــد يكون يوماً غريبـاً ، تلقاه في الحيـاة مرة واحدة ، وعليها ان لا تضيـع الفرصة .

ظلت في الشرفة تنتظر ، واوشكت ان تيأس لولا انه قد جاء من بعيـد ، كعادته يصفر لحناً جميلاً .. لحنه المعتاد الذي هفا قلبها اليه اول مرة سمعته .. لقد عشقته بأذنها اولاً .. أليس الاذن تعشق قبل العين احياناً ؟! واومأت اليه ان اصعد ، فظن انها تمزح ولكنها اصرت ، وعلى الدرج قابلته ، وقبلتـه نصف قبلة ، بينما كانت تضع في يـديه مفاتيح السيارة ، وافهمته كيف يتصرف مع الحارس ، وانكفأت كالمجنونة الى الداخل ، تضع دمعاتهـــا في حجر الصانعة .. والصانعة ، بعد ليست امينة اسرار فهيمة وحدها ، انها امينة اسرار العائلة جميعاً : الام ، الاب ، وطالبة الجامعة ، وفهيمة ، اما شعاع فقـــد يكون دورها في تصنع ادوار الضحايا لم يحن بعد !! وخرجت فهيمة تنتظر حبيبها بالقرب من حائط الحديقـــة ولكنه تأخر .

كان الحارس نائماً ، على خلاف عادته ، فأيقظه وطلب اليه ان يفتح باب المرآب ، فمانع ، ولكنه عندمـــا رأى المفاتيح ملفوفة في قطعـــة من ذوات الخمس ، ابتسم في وجه مخلص بينما كان يسأله :

ـ أأنت سائق جديـــد أم قريب العائلة ؟

ـ انني قريب الست . واذا شئت دونك الهاتف استفسر منهـــا عن هويتي .

وكان هذا الجواب المسكت ، قد قطع المحاورة التي كان مقـدراً لها ان تبلغ أوجها من العنف والحرج ، ويضاف الى ذلك ـ عدا الليرات الخمس ـ وهو على وشك ان يغفو « لم يشأ ان يفرط عقد هذه الطمأنينة الحالمة ، فيثير هو جسد الحيوان الراقد في اعماقه ، عندما يسمع بكلتا اذنيه صوت امرأة ناضجة وقد حان قطافها !! وقد تصرف تصرفاً حكيماً عندما غطى رأسه باللحاف ، قائـــلاً لمخلص

ـ دونك السيارة فخذها ...

وتمتم في دخيلة نفسه :

ـ انها رائحة جديدة تهب على هذا البيت الهادىء . لعلها هـــذه السيارة الملعونـة التي سوف تقلب نظام هذه العائلة الذي كان دقيقاً قبلها .

وفي المنزل ، كان الهاتف يـــدق بعنف .. انها السيدة سعاد تسأل عـن فهيمة وشعاع .. بينما كانت تمرن ابنتها على السباحة دون بلل !!

وكانت الصانعة سباقة كعادتها في مثل هذه المواقف الحرجة :

ـ ان فهيمة تذاكر في غرفتها ، وشعاع تكتب وظائفها في الصالون .

ـ ...

وأقفل الخط !!

حلب — علي بدور

مات الهوى

○

مات الهوى يا جارتي ، في القلب.. مات
وتناثرت ، مسلولة ، رئة الحياة .
وانبح ذاك الصوت ، في قاع اللهاة
وتمزق الوتر الذبيح بآهة
كالوهم مصلوب الصلاة
انهد صرح الامنيات الزاخرات
وبكت جراح الحب ، من هول المصاب
وتعانقت ، صدراً لصدر ، كل أوهام الشباب
وتهالك القلب المدمى ، عبر نهار الضباب
الكتلة الحمراء ... باتت كالسراب
يا واحة خضراء ، قد رويتها ، بدم العذاب
ماذا دهاك ، اليوم ، من أمر عجاب
وقبلت في لهفة ، محمومة ، وجه التراب
قولي .. أجيبي ...
– ليس يعنيني .. جواب ! ..

***

كان الهوى حلواً ..
وكان الشوق يرقص ، في يديه
والمنى ، يا للمنى ، ريانة ، مثل الضياء
مثل عرش ، حافل ، بالكبرياء
وأنا ، وقلبي ، هانئان ، مشوقان ، براحتيه
لكن سهماً ، ماضياً ، قد طار ، يبغي ، مقلتيه
فهوى ، صريعاً ، سابحاً ، بالدم ، منتشراً عليه
والحب ، يا للحب ، قد أبكى المساء
أبكى ، نجوماً ، في السماء
وانهل دمع ، صادق ، من كل أنحاء الفضاء
وارتج في الآفاق ، صوت ، هادر ، مثل النداء
وتدافعت ، جنباً لجنب ، كل أسراب الشقاء
تبغي الوصول الى العطاء
وكأنها مجنونة اللهفات ، من أجل العطاء
والقلب ، ذاك المدنف المهزوم ، يجتر الدماء
ويرتجي ، في حرقة ، شمس الرجاء
لكنه خسر الوفاء
ياويحه خسر الوفاء

* * *

لو كان هذا الحب ، معصوب العيون
لو كان مشلول الجناح
لكفرت ، بالشوق المعنى ، بالظنون
لبسطت ريشي للرياح
لكنه دفق من الاحساس ، بل نبع غزير
يجتاحني ، فيهزني ، فأذوب مرتعش الجنون
وأروح أنشج في سكون
كالتائه الهيجان ، في دنيا اللحون

* * *

إني أبيت ، وليلي المجنون ، يلهث والرغاب
ظمأى الى وهج العتاب
ظمأى الى نبش الكتاب
ظمأى الى السطر المخبأ ، خلف أنات الشواظ
والحزن ، ذاك المارد الجبار يسحقني بألف ، من عقاربه الغلاظ
ويمد لي ، من كل منعطف ، ودهليز ، وباب
نهراً ، من الذكرى ، يحطمني يميت بي الشباب
فتذوب أنفاسي على شفتي واشهق باضطراب
وألملم الصمت البليد ، وانطوي عبر السحاب
وانزوي خلف الحجاب
وتروح تسألني ، خيالاتي عن القفر اليباب
عن ذلك النبع الذي قد غاض من قبل الاوان
عن برعم ، متفتح ، نديان
وأنوح كالمخبول ، كالمهووس ، لا أدري الجواب
إني وحق الرب مشلول الصواب

* * *

وأظل أصبر والصعاب تهدني يا للصعاب
واللوعة الصماء ، تنهشني
بأنياب ، من السم اللعين
وأنا حزين ..
وأنا أخدر ذلك الالم الدفين
وهو اجسي ، تلد الكآبة والسآمة والحنين
وحكاية « مهموسة » ، ستظل ، ترويها سنين
حكاية الحب الطعين
حكاية الوجد الذي ينمو نمواً كالجنين
حكاية العطر الذي يدعونه بالياسمين
حكاية البسمات والرعشات والقلب الضنين
حكاية الحرف السجين
خلف قضبان الليالي الحالكات
وذلك الدمع الصموت
في خفوت
ينساب من عيني في جزع مرير
وأنا أجمد ، ذلك الحزن الضرير
في صدري المطعون بالنصل الكبير
وأنا أحاول خنق همس الذكريات
وأنا أجاهد ، كي اتيح لها الممات
الذكريات الحافلات بكل أرزاء الحياة
وكل احلام الحياة
الذكريات الحاملات نعيق اشلاء الغراب
هن الضنى ، هن الاسى ، هن السياط الجائرات
يهوين فوق أضالعي في قسوة يا للعذاب

* * *

أجل ... يا حلوتي السمراء .. مات
مات الهوى في القلب مات
لكنه ما زال حياً في صميم الذكريات

حمص — ممدوح السكاف

السمكة الملونـة

قالت السمكة للحوض : الا أطلق سراحي
إن إغلاقك بـــاب السجن يهتــاج جراحي

فأجاب الحوض : إني السجن . . . والسجان غيري
ليس لي أيتهـــا السمكة من نهيٍ وأمر

— ويحهم من بشرٍ لم يفقهوا للخير معنى
حبسوا روحاً طليقاً وقواماً شع حسنا

لوّنتــــه ريشة الله اعتزازاً واقتــــدارا
فاذا الكل حواليّ حيــارى واسارى

فاستثر رحمتهم يا حوض من أجل جمـــالي
ليعودوا بي الى البحر . . . الى حيث الـــلآلي

حيث أحيا حرةً دون مـــلال أو اسار
تغمر الهــــدأة ليلي والهناءات نهـــاري

فأجاب الحوض : يا سمكة يا أختي الحبيبـــة
انما حسنك هذا لك قد خطّ المصيبه !

بغداد **أنور شاؤل**



المصباح الازرق

تأليف نبيل خوري – ٣٦٤ صفحة
منشورات المؤسسة الأهلية بيروت

رواية نبيل خوري هذه – وهي باكورة انتاجه الادبي – من اقوى ما كُتب في الفن الروائي العربي الحديث . انها على حد تعبير سعيد عقل واضع المقدمة نتاج « يدين عملاقتين تقطعان الحجارة من منجم بعينه : حياة التشرد ». وبالفعل فان منجم الحياة الذي استقى نبيل خوري منه روايته معين لا ينضب . فقد غرف دلوه من اعماق هذه الحياة مع ما فيها من مشاعر غريبة وآلام وشهوات ونزوات وموبقات ، وما يراق فيها كل يوم من دماء الفضيلة والشرف ...

وهكذا شاء نبيل ان يصور لنا في «المصباح الازرق» جانباً معيناً من جوانب الحياة الاجتماعية الشرقية . وهو جانب رحب واسع ولكنه يكاد يكون مجهولاً لدى جمهرة القراء والكتاب على السواء . انها حياة الليل وسهرات علب الليل ومجتمعات الليالي الحمراء ، او ما يسمى بملاهي المجتمع الراقي ، وهي مقصورة على طبقة معينة من الناس . ذلك بأن ملاحقة الحانات والسهر في الكباريهات ، ومعاشرة الغواني ، ومعاقرة بنت الحان والانكباب على القمار وما يستتبع ذلك من غوايات وآفات ... ما زالت وقفاً على بعض الاثرياء مما يعجز عن القيام به فريق الفقراء المعدمين . فنحن اذن أمام رواية تصور هذه الفئة من المبذرين ، وتصف الجو الذي يعيش فيه ابناؤها وهو جو قائم على الفساد والاندفاع وراء الشهوات وحب الظهور ودوس الاخلاق ...

انها قصة شاب يافع افاق على ثروة طائلة بين يديه ورثها عن أبيه ، فهو لا يعرف ماذا يصنع بها فيختار أهون السبل وينغمس في حياة الليل ويجرب جميع مفاسدها ويعب منها حتى الثمالة . فلا يدع باباً من ابواب الفساد والموبقات الا ويطرقه وينساق فيه : من الادمان على الشراب الى الاقبال على العاهرات وغانيات الحانات الليلية الى الانغماس في القمار ، الى اغواء النساء المتزوجات وبيع جسده الى المتصابيات الى تدخين الحشيش والمخدرات واخيراً الى العمل في التهريب والوقوع بين يدي العدالة ، والعيش في السجون ، وتنتهي الرواية بخروج الشاب من السجن بعد سبع سنوات ليذهب الى أول بغي تعرف عليها عازماً الزواج منها فيجدها تفضل العمل كمومس على الزواج منه . وتنتهي حياة الشاب كأسوأ ما يمكن ان تنتهي حياة امثاله من العابثين اللاهين المشردين من الجيل الضائع .

هذه هي الخطوط العريضة لرواية « المصباح الازرق » ، واعتقد أن تلخيصها مهما بلغ من الدقة يفقدها الكثير من قيمتها الفنية وروعتها الادبية لان نبيل برع في تصوير هذا الجانب من حياة البشر ، وحلّق في تحليل نفسية هذه المجتمعات تحليلاً صادقاً موفقاً . فنقلها الينا على طبيعتها دون « رتوش » أو تزويق . والشيء الحسن ان المؤلف استطاع ان يخفي شخصيته تماماً من بين اسطر الرواية . فقد جعل القارىء يعيش مع البطل « احسان » وكأن احسان نفسه هو الذي يروي ما يحدث له وما يصادفه من وقائع وما يعتريه من مشاعر وتأثرات وما يقوم به من تصرفات طغت كلها طغياناً قوياً على كل ما عداها ، حتى يكاد ينسى القارىء انه أمام رواية مكتوبة ، او ان مؤلف هذه الرواية هو نبيل خوري بالذات ، ذلك الشاب الرقيق الناعم الذي عرف بين اصدقائه بالدعة واللطف وطلاوة الحديث . ولعل هنا يكمن سر إبداع الكاتب ، وهو ابداع يهنأ عليه .

لقد ذكرنا نبيل خوري في هذه الرواية ببلزاك ذلك الروائي الجبار الذي كان يتلاعب بشخصيات مؤلفاته كما يتلاعب بالدمى ، وكان يصور الطبقات الفاسدة من المجتمع ويسخر من انحطاط الطبقات العليا بكثير من البراعة والدقة ، وبكثير من التفصيل والتوسع ، حتى يجعل القارىء يعيش مع ابطاله ويرافق العصر الذي عاش فيه وكأنه في ذلك العصر او بين هؤلاء الابطال .

وكما كان بلزاك في مؤلفاته الكثيرة صورة صادقة عن مجتمع عصره كذلك يبدو لنا كتاب نبيل خوري انه صورة امينة عن حياة المجتمعات في هذا العصر ، وقد استطاع ان يصور لنا انحراف جيل من الاجيال الحاضرة في مهاوي الضلال والرذيلة والمفاسد .

لقد كنا قبل رواية نبيل خوري نمر بهذه المفاسد كل يوم فلا نأبه لها ، او نحاذرها فلا نفعل شيئاً لسبر غورها ومعالجتها او ادراك كنهها واظهارها على وجهها الحقيقي ، ولكن نبيل كان اجرأ كتابنا على طرق هذا الموضوع الحرام « التابو » فخاض غمراته حتى القعر وعب من معينه حتى ارتوى وطلع علينا بهذه الباكورة الشيقة التي تعتبر بحق رائعة فريدة في بابها .

اما لماذا اختار نبيل ركوب هذا المركب الخشن وشاء ان يعكف على حياة الظلام والشر والرذيلة والتشرد والفساد ولم يختر الجانب الخيّر المشرق من حياة البشر حيث ما زالت النفوس عامرة بالفضيلة والصلاح والشرف والاستقامة فذلك يعود على ما نظن الى ان في تصوير الشر عظة قد تكون ابلغ من تصوير الخير ، وفي تحليل الفساد عبرة اقوى من تحليل الفضيلة . واعتقد انهذه قضية اشبعها علماء النفس درساً وتمحيصاً وبحثاً منذ زمن بعيد .

ومهما يكن فقد خرجت من « المصباح الازرق » وانا موقن باننا بدأنا نشهد طلائع مرحلة جديدة في ادبنا العربي الحديث تبشر بانبعاث عهد الرواية الطويلة ونضوج الفن الروائي الآخذ في الانتشار ، بعد ان كان هذا الفن شبه مفقود في ادبنا الماضي . وقد قصر كتابنا نشاطهم خلال الخمسين سنة الماضية على الاهتمام بالقصة القصيرة وحدها نظراً لما فيها من قصر النفس والسرعة والسهولة احياناً . اما الرواية فقد كانت ميداناً عسيراً لا يلقى من الكتاب ولا من القراء ما تستحقه من العناية والاقبال اللذين تستحقهما او اللذين تلقاهما في الغرب .

غير اننا اخذنا نلحظ منذ سنوات قليلة فقط تحولاً نحو الرواية الطويلة بعد ان توفق عدد من الادباء المصريين الشبان وعلى رأسهم احسان عبد

القدوس ويوسف السباعي ونجيب محفوظ ويوسف أدريس على جعلها شعبية محببة يقبل عليها كل قارىء بشغف ولهفة . اما في لبنـــان فيكون لنبيل خوري فضل انهاض الرواية الطويلة من كبوتها بعد ان ازدهرت فترة قصيرة من الزمن على يد توفيق يوسف عواد و كرم ملحم كرم وسواهما .

ولسنا بحاجة الى التأكيد بأن ازدهار الرواية في ادب من الآداب دليل على حيوية هذا الادب وعلى بلوغه مرحلة النضج والاختمار ، لانها تعتبر ذروة الابداع الفكري ، وارحب مجال للانطلاق الفني حيث تجول الاقلام والافكار وتصول بحرية معبرة عن ادق الآراء ومعالجة أخطر المواضيع ، وطارقة جميع الابواب بما فيها الفلسفية والنفسية والاجتماعية والسياسية وكل ما يهتم بمشاكل الحياة الانسانية من علوم وفنون . وقد بات معروفاً ان رقي ادب كل امة يقاس بمدى تقدم الفن الروائي فيه وبمدى عناية الكتاب بهذا الفن واقبال القراء عليه ، وان الادب الذي يخلو من الرواية يعتبر بحق ادباً ناقصاً او معتلاً .

وانه لمن حسن الحظ ان اخذت الرواية تلقى في ادبنا الحاضر ما تستحق من اهتمام واقبال ، وهذا ما يحملنا نعتقد ان ما صادفته في الماضي من تعثر وفشل لم يكن الا من قبيل الاختمار او التفتح المبكر . وكل ما نرجوه الآن ان يزدهر الادب الروائي عندنا ويزداد نمواً حتى يبلغ مرحلة النضج الكامل ويصبح جزءاً هاماً من حياتنا الفكرية والادبية .

ولقد لفت نظري بصورة خاصة في رواية « المصباح الازرق » تلك اللمحات الخاطفة البارعة بين وقت وآخر التي يطلع بها نبيل على قارئه ان كان في ميدان التعبيرات اللفظية الموفقة او في ميدان التحليل النفسي المشوق ، وهي لمحات اشبه ما تكون بشطحات الابداع او نفرات النبوغ التي تضفي على الاثر الفني طابع الجدة والتفرد وهي من ميزات كل كاتب ناجح .

ومما لا شك فيه ان نبيلاً كاتب ناجح في هذه الرواية . وليس أدل على نجاحه من ان كتابه المصباح الازرق قد نفد في غضون اشهر قليلة بعد ان طبع منه عشرة آلاف نسخة ولولا الحوادث الاخيرة لكانت طبعته الثانية قد ظهرت في الاسواق . وكل ما نرجوه ان يحافظ نبيل على مستوى نجاحه وما نظنه الا فاعلاً ان شاء الله .

أديب مروة

رأي في الاعراب

تأليف يوسف كركوش — ٨٨ صفحة — مطبعة الآداب بالنجف

هذا كتاب جديد يبحث في مشكلة النحو العربي ، التي غـدت قضية اخراجه من شكله الحالي الجامد ، لا ينبغي السهو عنها بأي حال من الاحوال .

يصدر هذا الكتاب والدعوة الى نحو جديد يجاري الفطرة والسليقة ، ويأخذ بالشباب الى تحبيب لغتهم اليهم ، قد اصبحت منتشرة بـين الجميع ، اللهم الا اناساً لا يزالون يعيشون في قوقعاتهم الذاتية وفي ابراجهم العاجية . واني لابصر هؤلاء في مخيلتي ، وقد انتابهم الفزع والخوف ، وهم يرون تيار التجديد الصاعد في حياتنا وهو يرميهم بعيداً عن عالم القرن العشرين .

في مقدمة الكتاب الطويلة التي هي ضرورية جداً لعرض الفكرة وفهم الكتاب ، اوضح المؤلف تاريخ ولادة النحو . وقد عرض في خلال ذلك رأياً جديداً من آرائه حول نحو سيبويه ، وفيما اذا كان مبتكراً من قبل استاذه الخليل ام منقولا ، فقال انه يحتمل « ان الخليل اتصل برجـال الثقافة من السريان وسألهم فترجموا له مصطلحات علم النحو » . وقد برر هذا الاعتقاد بان الفترة بين وفاة ابي الأسود الدؤلي ووفاة الخليل كانت وجيزة ، مما يستحيل فيها نضج علم كعلم النحو . والجدير بالذكر ان الدكتور علي الوردي قال في كتابه « اسطورة الادب الرفيع » : « ان ظهور كتاب النحو على يد سيبويه يشبه ظهور المنطق على يد ارسطاطاليس » .

وقد بينت المقدمة بعد ذلك ، كيف انقسم النحاة الى مدارس وطرائق ، وكيف شغلت هذه المدارس ، كمدرسة الكوفة والبصرة ، بأشياء تافهة مما ادى الى وأد الفكر العربي وصرفه « عن التفكير فيما يسمو به مجتمعهم » .

وفي رأي المؤلف ؛ ان النحو غير قويم ، أيا كانت المدرسة التي يتبعها . وقد أوضح المؤلف هذا الرأي بكثير من الشواهد التاريخية والمنطقية ، كما تعرض الى « ابن مضاء الاندلسي » الذي ثار على فلسفة العامل في النحو ونقضها بكتابه « الرد على النحاة » وقـد نشره الدكتور شوقي ضيف عام ١٩٤٧ .

ان انشغال النحاة بالقياس طوال مدة ألف عام ، هي التي جعلت النحو العربي يتجمد عند قواعد جامدة لا تلائم التطور الانساني العربي . وعندما انبثق فجر البعث الجديد ، وجد طلاب العلوم أنفسهم امام قواعد جامدة ، مما جعلهم يميلون الى دراسة اللغات الاجنبية بدل العربية ، وهـذا منتهى الظلم ان نترك لغتنا تتسكع على رصيف الجمود والابراج العاجية ، و « قد آن لنا ان نعرف الداء الشافي ، وذلك بأن ننقي لغتنا من نحو سيبويه والكسائي ، ونضع نحواً جارياً مع الفطرة ، يحبب الى الناشئة اللغة العربية بتطعيمها بعناصر الثقافة العامة التي شملت أرجاء العالم .

وقد كان الاستاذ ابراهيم مصطفى قد ادرك هـذه العلة وثار على الجمود عندما أصدر كتابه « إحياء النحو » عام ١٩٣٧ ، وهو نحو يهدم فلسفة العامل ويبني قواعد جديدة جارية مع الفطرة والسليقة . وملخص نظرة الاستاذ ابراهيم ، هي ان « الحركات في اواخر الكلمات دوال على معان ثانوية يقصدها المتكلم عند الكلام لا نتيجة عوامل كما فعل سيبويه والكسائي وسائر النحاة » .

وقد رأى الاستاذ يوسف كركوش في هذه النظرية صحة في المنطق وحباً للغة ذاتها ، مما دفعه الى استكمال قواعد النحو العربي واخذها بهـذا المأخذ ، فتجمعت لديه بالتالي مجموعة جديدة من القواعد النحوية ، هي هـذا الكتاب الذي نتكلم عنه .

ينقسم الكتاب الى بابين ، الباب الاول يبحث في المصطلحات النحوية التي لها علاقة بالظاهرة الاعرابية ، فبحث في أقسام الاسم والفعل ، وفي المعرب والمبنى . وقد خالف المؤلف النحاة في بعض المصطلحات لامر رآه « اجدر بالعناية وأوفى بالغرض » فوضع له تعريفاً اشتراطياً .

اما الباب الثاني فهو خاص بالاعراب ، وقـد تكلم فيه عن الظاهرة الاعرابية باعتبارها من عمل المتكلم ؛ فتكلم عن الضمة علامـة الاسناد ، والمضاف اليه ، واعراب الفعل المضارع ، وعلامات الاعراب ، وأدوات المشاركة ، والتوابع ، والصرف ومنعه ، وانواع الفضلة ، والنفي بلا . وختم هذا الباب بدراسة بعض الاساليب كالتعجب والذم والمدح .

ولقد اعرب الدكتور مهدي المخزومي ، الذي كتب مقدمة للكتاب ، عن امله بأن يستعين الاستاذ المؤلف بالدرس الكوفي في المستقبل ليستطيع التجديد والابداع بصورة أكمل واجمل .

ونحن ، لا يسعنا ازاء هذا الكتاب ، الثمين بأفكاره الجديدة ، الا ان نلخص رأينا عنه ، بما قاله الدكتور المخزومي في مقدمته للكتاب ووصفه بأنه « مدخل يدخل منه الدارس الى درس جديد شامل يعالج مشكلات العربية معالجة تتناول كثيراً من نتائجها » .

والى مؤلفه الاستاذ يوسف التحية والتقدير .

العراق – الحلة **علي الحسيني**

ذات العماد

تأليف امين نخلة - ١٧٤ صفحة -- منشورات مطبعة دار الكتب في بيروت

كتاب

ذات العماد قصص أدبي ، ووعظي للاستاذ امين نخله ؛ كنت قد حييته عند صدوره ، في مجلة النقاد الدمشقية ؛ حللته ، واظهرت فنه ، وقارنته برسالة الغفران لابي العلاء المعري ، القريب الشبه منها .. انه قصص خيالي في استنطاق احوال من ماتوا من الادباء العرب المحدثين، واللغويين ، تخيلهم المؤلف في نعيم حشرهم فيه ، هو نعيم ذات العماد .

واليوم اعود الى التعريف بهذا الاثر النفيس ، لقراء مجلة الاديب .

يشتق الكتاب تسميته من ذات العماد ، الجنة التي تروي الاخبار ان شداد بن عاد ابتناها من ذهب ، وفضة وقد استعارها المؤلف ، فأجرى فيها قصصه الادبي ، والوعظي ، فجعلها نعيماً أخروياً للادباء ، واللغويين العرب المحدثين ؛ زينها فوق زينتها ، وعمرها بالقصور ، والدور ، وأحيا مسارح الطرب، والانس فيها ، وانطق اهلها وساكنيها ؛ فوصف ، وقص ، ووعظ ؛ وجاس السرائر ، والنفوس ، واستلهم الاحوال ، واستوحى العبر ..

عرف المؤلف في مقدمة قصصه بذات العماد ، فأورد رواية معجم البلدان فيها ؛ روى صاحب معجم البلدان ، ان شداد بن عاد ، لما سمع بالجنة ، وما أعد الله فيها لاوليائه ، قال لكبرائه اني متخذ في الارض مدينة على صفة الجنة . فوكل بذلك مائة رجل من وكلائه ، وقهارسته ، تحت كل رجل منهم الف من الاعوان ، وامرهم ان يطلبوا فضاء فلاة من ارض اليمن ، ويختاروا اطيبها تربة ، ومكنهم من الاموال ، ومثل لهم كيف يعملون ..

ثم انه استحضر المعادن، والياقوت، والزبرجد ، والعنبر ، والزعفران؛ ففضض حيطانها، وجعل لها غرفاً من فوقها غرف، وزخرفها خير زخرف؛ واجرى من تحتها وادياً ساقه اليها من تحت الارض ، واجرى السواقي منه في الشوارع ، والازقة ، وسورها بسور عال ؛ وقيل مكث في بنائها خمسمائة عام !

وقد اراد الله تعالى ان يتخذ الحجة عليه ، وعلى جنوده ؛ فانتجب لرسالته اليه هوداً عليه السلام وكان من صميم قومه ، واشرافهم ؛ فدعاه هود عليه السلام الى الله تعالى ، والايمان به ، والاقرار بربوبيته ، ووحدانيته ؛ فتمادى في الكفر ، والطغيان ، وذلك عندما تم لملكه سبعمائة عام ، فانذره هود بالعذاب ، وحذره زوال ملكه فلم يرعو .

ثم وافاه الموكلون ببناء المدينة ، واخبروه بالفراغ منها ؛ فعزم على الخروج اليها وجنوده ؛ فخلفه على ملكه بحضرموت ، وسائر ارض العرب ابنه مرثد بن شداد ، وكان مؤمناً بهود ؛ فلما قرب شداد من المدينة جاءت صيحة من السماء ، فمات هو واصحابه اجمعون ، ومات جميع من كان في المدينة من الفعلة ، والصناع ، والوكلاء ، وساخت المدينة في الارض فلم يدخلها بعد ذلك احد الا رجل واحد في ايام معاوية يقال له عبدالله بن قلابة .

قيل خرج من صنعاء في بناء ابل له ضلت ، فافضى به المسير الى مدينة صفتها على نحو ما ذكرنا ؛ فاخذ منها شيئاً من بنادق المسك ، والكافور ، وشيئاً من الياقوت ، وقصد الى معاوية في الشام ، واخبره بذلك ، واراه البنادق ، والجواهر ، وكانت قد اصفرت ، وغيرتها الازمنة ؛ فارسل معاوية الى كعب الاحبار ، واستفسر منه عن ذلك ، فاخبره انها ارم ذات العماد التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ؛ بناها شداد بن عاد ، ولا سبيل الى دخولها ، ولا يدخلها الا رجل واحد ، صفته كذا ، ووصف عبدالله بن قلابه ؛ فشكره ..

يورد المؤلف ، في قصصه ، الروايات فيها ، ونسبتها ، كما يورد بعض ما قيل من الشعر في ذلك ؛ وهي في هذه الروايات ، او اشمارها الاسكندرية او بلدها ، او دمشق ، وهيكلها العظيم ..

وفي القصص ، ذات العماد مدينة من صنع الخيال ، يتخيلها المؤلف ، كما يتخيلها القارىء ايضاً ، ازاء طرسه ؛ وهي مدينة ضاحكة تهتز نضارة ، وتلألؤاً ، لبناتها من ذهب، وصفائح حيطانها من فضة، كل جنباتها المسك، والزعفران ، تكسوها الاشجار ، وتجري من تحتها الانهار ..

يطوف القارىء ، مع حافظ الباب فيها ؛ القاريء هو بطل قصصها الادبي ، والوعظي ، يحاور اهلها وساكنيها ؛ اذا بها دار امكان لا مستحيل فيها !. وانها ايضاً ، نعيم الكتاب . يكافئون بذهبها ، وفضتها ، وصنوف جواهرها !. وانها لم يترك فيها شيئاً من اسباب السعادة !.

وقد جعل المؤلف القارىء يتوهمها ، وهو يطالع كتب الاخباريين ، وجعله يطوف فيها ، وفي جنباتها ، يحاور اهلها ، وساكنيها ؛ والقارىء الذي هو بطلها ، لبناني من الجبل، يحب الادب، ويتساقط اخباره ؛ يعرف حافظ الباب بنفسه بذلك ، ثم يتعرفه الادباء فيها بذلك ايضاً ..

يستعطف القارىء حافظ الباب للدخول اليها ، فيذكر له معارف عن ذات العماد؛ فلا يصيخ حافظ الباب له سمعاً ؛ ويعيد القاريء الكرة، وينشده شعراً لبعض اللبنانيين على الميم ، فيها ارم ، وفيها قرارة واكم ، وكاس ونغم ، وخفة وقدم ، وما في نحو ذلك ؛ فيبتسم نحوه حافظ الباب ، وقد غلب على قلبه ذكر الشعر ، والشعراء .. ويدخله ، مستشفعاً له بواحد من ساكنيها ؛ والقارىء يستشفع بصاحب البستان ؛ ويدعى انه شيخه ، تعلم في كتبه ، وتخرج في العربية على كلامه ..

ليس في ذات العماد نار ؛ وانما هي نعيم ؛ بيد انه يلاحظ على احوال بعض ساكنيها نكد ، وغضاضة ؛ وقد جعل الكتاب فيها في حارات؛ كتاب لبنان في حارة، وكتاب مصر في حارة ، وكتاب العراق في حارة وهكذا الى الآخر !.

اولى الحارات التي يطوف القارىء فيها مع حافظ الباب هي حارة اللبنانيين، وذلك بعد استشفاعه بصاحب البستان؛ اما الحارة الثانية فهي حارة المصريين، في حين يرد ذكر الحارات الاخرى في معرض الحديث مثل حارة العراقين ، والحلبيين ، والحمصيين ..

وقد جوزي كل أديب فيها بقصر، ولكل قصر شكله، وعلامته، والجزاء على قدر الاجتهاد في الادب، او اللغة. فمثلاً قصر صاحب البستان على شكل الالف واللام، لان صاحبه لم ينبه على دخول أداة التعريف على سفير، وهو قسم من جبل الشيخ؛ وقصر البارودي ماذني من حجارة شبيهة بالياقوت، وهي التي تجلب من سرنديب، حيث نفي مرة، اهمل نعتها في شعره، فاعلم على قصره بذلك؛ وقصر المطران فرحان على شكل مثلث، يتعرش به اغصان تفاح، وسفرجل، واترج، واجاص وريحاني، وهي من ذهب، وثمراتهـا من جواهر، جزاء لفتواه في أكلة الاكلات، وهي ان ثمرة المعصية هي ما يشم ويؤكل؛ وقصر الشيخ رضا، مسقوف بعروق من ذهب، عليها تفافيح من لؤلؤ، قضبان كرم، وعناقيد، اكراماً لفتواه بطهارة عين المسكرات!. وهكذا دواليك!.

ومن مفارقات ذات العماد ان قصور بعض الادباء فيها في حارات غير حاراتهم؛ فمثلاً القصر الماذني قرب حارة اللبنانيين، وقصر الشيخ رضا في رقعة اللبنانيين ايضاً؛ بينا قصر خليل مطران في حارة المصريين، في حين يسكن العباس بن الاحنف في نفس قصر الشاعر البدوي، يلذ به؛ لتضف الى ذلك ايرادها القصص عن كثير من الادباء فيها، مثل تغني العباس بن الاحنف في قصر الشاعر البدوي بشعره:

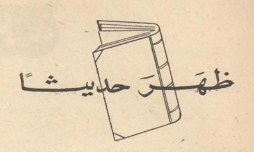
يا غريب الدار عن وطنه ... مفرداً، يبكي على شجنه

الى ان يقول: ولقد زاد الفؤاد شجيَّ ... طائر يبكي على فننه

شفه ما شفني، فبكى ... كلنا يبكي على سكنه...

او أيضاً مسامرة البشري المنفلوطي في لؤلؤة مجوفة عند ظهر حارة المصريين، في اللغة، والسجع؛ او جلوس جماعة من المصريين قرب حارتهم يتفننون، ويصفقون بايديهم، او تنزه اليازجي الكبير في وادي المصريين على بعض سقائف المرجان، او حديث اسماعيل صبري عن اكرام باي تونس لفارس الشدياق لمدحه شعراً الخ...

دمشق **عدنان الذهبي**



• التدريس في الخارج — نشرت منظمة اليونسكو الطبعة العاشرة من «التدريس في الخارج» باللغتين الانجليزية والفرنسية. ويتضمن المطبوع بيانات عن حوالي ١٧٠٠ عضو من هيئات التدريس في بلاد مختلفة يحيطون اليونسكو برغبتهم في التدريس في خارج بلدانهم. وتشمل قائمة الاسماء مدرسين في جميع مراحل التعليم وجميع المواد بل واخصائيين في المكتبات والمتاحف والمعامل، والعيادات الطبية والاعمال الادارية. والمقصود من نشر هذا المطبوع تشجيع التبادل الدولي بين المدرسين.

• مصطلحات امناء المكتبات — يتوقف نجاح التبادل بين المكتبات في مختلف البلاد على معرفة امناء المكتبات للغة اجنبية او اكثر. على ان هناك مصطلحات قد يغفلها امين المكتبة في هذا البلد او ذاك. وقد نشرت منظمة اليونسكو في عام ١٩٥٣ قائمة بالمفردات الاساسية التي يستخدمها امناء المكتبات تتضمن حوالي ٢٥٠٠ مصطلح باللغـات الانجليزية والفرنسية والالمانية. ثم اصدرت اخيراً طبعة منقحة أضيف اليها الجديد من المفردات والمصطلحات. واشرف على اعداد هذه الطبعة انتوني تومبسون وهو نفس الاخصائي الذي اسهم في اعداد الطبعة الاولى عام ١٩٥٣.

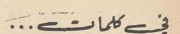
• الذكرى المئوية الاولى لوفاة السعيد الذكر البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم ١٨٥٥/١٩٥٥ — هدية مجلة المسرة — ٢٤٠ صفحة — حجم كبير — المطبعة البولسية بحريصا لبنان.

• التجارة الدولية او التنمية الاقتصادية — تأليف جيكوب فاينر — ترجمة سنى القبـاني — تصدير الدكتور محمد علي رفعت — ٢٨٣ صفحة — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — منشورات مكتبة الانجلو المصرية — مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

• شعراء العرب المعاصرون — تأليف الدكتور احمد زكي ابو شادي — قدم له وترجم لشعرائه رضوان ابراهيم — ٣٣٨ صفحة — دار الطباعة الحديثة بالقاهرة.

في هذا الكتاب دراسة وافية لحركة التجديد في الشعر المعاصر تناولت بالتحليل والموازنة اروع النماذج لشعراء الجيل في العالم العربي والمهاجر، ومن بينهم: خليل مطران وعبدالرحمن شكري واحمد محرم وحسن كامل الصيرفي ومصطفى السحرتي ومحمود ابو الوفا وصالح جودت وجميلة العلايلي وزكي مبـارك وكمال نشأت وعزيز فهمي وصفية ابو شادي والفيتوري ورضوان ابراهيم وابو ريشة ونزار قباني وثريا ملحس وبولس سلامـة والبير أديب ومحمد سرور الصبان ومحمد حسن عواد واحمد عبد الغفور عطار وابراهيم العريض ومحمد مهدي الجواهري وعبد القادر الناصري وصالح جواد طعمة ونعمة الحاج وعبد المسيح حـداد وملحم الحاوي والشاعر القروي واليـاس فرحات وشفيق معلوف وابو القاسم الشابي، وعشرات من الشاعرات والشعراء اللامعين الذين عرض ابو شادي لانتاجهم في ضوء التيارات النقدية الحديثة مؤرخاً لحركة التجديد تأريخاً علمياً نزيهاً.

وقد ترجم الاستاذ رضوان ابراهيم لكل من هؤلاء ترجمة وافية تعرف الشعراء بعضهم الى بعض وتقدمهم للقراء والدارسين كما صدر الكتاب بمقدمة ممتعة عن حياة ابي شادي بالاضافة الى ما بذله من جهود موفقة في التحقيق والمراجعة واعداد الفهارس حتى ظهر الكتـاب في ثوب علمي انيق جدير بالقراءة والاقتناء بين المراجع القيمة في نقد الشعر الحديث.



● منذ نصف قرن ، كان بلوغ سن الستين مقصوراً على نسبة قليلة من سكان العالم ! اما اليوم فان الخبراء يرون ان مظاهر الشيخوخة في السبعين او الثمانين ، انما هي عملية متصلة لتسمم الجسم ، منذ الولادة ، فهناك شواهد تدل على ان دم الشيوخ مسموم .

اذ اضيفت على خلايا حية تنمو وتتكاثر في انبوبة اختبار قطرات من دم شيخ فأتت لتوها . ويعتقد الاخصائيون ان في الوسع تأخير عملية تسمم الدم الى مائة عـام او اكثر ، ومن ثم تتغير مقاييس السن فيبـدأ منتصف العمر في الستين ، وتبدأ الشيخوخة في الثمانين .

وما دمنا في الشباب ، فاننا نقاوم هـذه السموم . ثم حين تتقدم بنا السن تضعف هذه العمليات الوقائية ، ومن ثم تترع العناصر الضارة من طعامنا في مهاجمة القلب ، والاوعية الدموية ، والجهاز العصبي ، والكليتين .

ويجد الاخصائيون الان في البحث عن ثلاث وسائل لمقاومة التسمم الغذائي : الاولى – البحث عن عقار يمكن ان يغسل السموم التي تراكمت على مر السنين . الثانيـة – البحث عن وسيلة لتقوية العملية الوقائية الداخلية . الثالثة – ابتكار وجبات غذائية خاليـة من العناصر الفاسدة ، ومخصصة لمن هم في منتصف العمر او في الشيخوخة .

● اخترع عالم امريكي حبوباً تمنع الولادة ، اجرى تجاربها منـذ سنتين في جزيرة « بورتوريكو » ونجحت نجاحاً تاماً . وهذه الحبوب تستطيع الحد من سكان العالم خاصة في الاقطار المتخلفة التي تشكو شكوى مرة من كثرة تزايد سكانها . وقد جرت تجربة هـذه الحبوب على مئتي امرأة في بلدة « سان خوان » في بورتوريكو ، فلم تصب اية واحدة منهن بالحمل . ويجب ان تستعمل المرأة هذه الحبوب يومياً مدة ٢٠ يوماً كل شهر . وثبت ان كل امرأة تستطيع استعمالها بلا ضرر . وقد قرر الاطباء متابعة هذه التجارب سنتين اخريين قبل المباشرة في طرحها في الاسواق .

● يقول الدكتور لويس كلاتز من كبـار اطباء امراض القلب في الولايات المتحدة ان انواع الطعام المتعـددة التي نأكلها في مختلف وجبات اليوم هي التي تسبب لنا امراض القلب التي تعترينا في اكثر الاحيان . وان كثرة الدسم تضعف حركات القلب وتزيد في انهاكها وانه من المستحسن الصيام عن المآكل الدسمة خلال عدة ايام في الشهر لكي يتمكن القلب من الراحة قليلاً .

● اثبت الطب الحديث ان من الممكن ان يتوقف قلب الانسان توقفاً تاماً عن العمل ومع ذلك لا تفارق الحيـاة الانسان – بل هي تعود اليه .

وقد تمكن الطب اخيراً من ان يتحكم في عمل القلب فيوقفه فترة توقفاً تاماً يشله عن كل حركة ثم يعود فيبث فيه الحياة والحركة من جديد كأنه آلة صناعية يضغط محركها على زر فتعمل ثم يضغط على زر اخر فتتوقف عن العمل!

وفي لندن اجريت عمليات جراحية لستة اطفال . وقد حقن الجراح قلب كل طفل بحقنة خاصة جعلت القلب يتوقف عن الخفقان وبعد ان اجرى ما يشاء من العمليات اعاد اليـه الحركة .

ومن بين الاطفال كانت هناك فتاة في الرابعة من عمرها ظل قلبهـا معطلاً عن الحركة ٢٠ دقيقة ولكن بعد ان اتم الجراح اجراء ما يريد في القلب بدقيقة واحدة كان قلب الفتاة قد عاد الى حركته الطبيعية .

ويقول الاطباء انه سواء اعتبر المريض الذي يتوقف قلبه ميتاً ام حياً فان هذه مسألة تحتمل النقاش الطويل . والقلب في هـذا النوع من العمليات الدقيقة يتوقف على اثر حقنـة بـ « نترات البوتاسيوم » واذا توقف اصبح « ميتاً » الى درجة تسمح للجراح بان يحركه في يده كما لو كان قطعة من المطاط . وهو لا يعود الى حركته الا بعد ان يعود اليه الدم الذي يحتاج اليه في حالته العادية .

● استطاعت شركة بفيزر الامريكية صنع عقار جديد يدعى « التاو » اكثر فعالية من البنسلين وايسر امتصاصاً وذوباناً في الدم منـه . وهو خلاصة بعض الاتربة التي يجريها علماء الشركة من اغوار البحار . ويدخل في تركيب هـذا العقار مادة « الاوليندو » المأخوذة من التراب الذي يحاذي شروش هذه النبتة . والعقار الجديد يوصف علاجاً لالتهابات المثـانة والامراض المعوية المزمنة وبعض الامراض الاخرى .

● اعلن الدكتور الكس نوفيكوف احد اساتذة كلية البرت انشتاين الطبية في نيويورك عن نجاح التجارب التي اجراهـا حول طريقة جديدة ذات تأثير ظاهر في البحث عن السرطان والاورام الخبيثة ومعالجتها . فقد اخترع لقاحاً تأثيره اشبه ما يكون بتأثير لقاح يقي الجرذان من بعض انواع السرطانات الخبيثة في الكبد السريع النمو والامتداد فيودي بحيـاة ٩ من اصل ١٠ حيوانات مصابة به . واللقاح المذكور هو خلاصة الخلايا الموبوءة بالسرطان ولا سيما خلاصة « الميكروسومات » هـذه الجزئيات الدقيقة التي تسبح بين خلايا الجسم وتعتبر مصانع كيماوية صغيرة تولد البروتين وغيره من المواد الكيماوية في الجسم . وخلاصة الميكروسوم هذه تبدو كأنها سائل مائي الا انهـا لا تسبب السرطانات كما اتضح للدكتور نوفيكوف بعد ان حقن بها اكثر من ٣٠٠ جرذان سليم .

● عرف في اوساط شركة كوداك انها تمكنت من اختراع جهاز جديد للاشعة السينية بواسطة فيلم دقيق حساس سرعته ثلث السرعة اللازمة من قبل . وهذا الاختراع الجديد سيفيد كثيراً في تشخيص الامراض بسرعة في الحالات الطارئة او في حالة عملية جراحية مستعجلة .

● اكتشف الخبراء الامريكيون عقاراً جديداً لاستئصال مـادة الستروتنيوم المشع من بعض اعضاء الجسم البشري المعروف عنه ان اشعاعاته تولد عـدداً من الامراض الوبيلة ومن بينها السرطان والعقار الجديـد يسمى عنـدهم « روديزونات » وشكله شكل صباغ اصفر لا طعم له ولا مذاق . وعندما يجري بلع هـذا الدواء تلتصق عناصره بذرات الستروتنيوم لتؤلف معها جسماً يمتنع تحليله انما يقـذف به الجسم مع النفايات التي يقذف بها خارجاً .

وتبين من المناقشات العامة التي دارت حول هذا العقار الجديد بين اعضاء الجمعية الكيماوية الامريكية ، ان هنالك عقاراً آخر يشبه مفعوله مفعول الرودیزونات يعرفه الكيمائيون باسم « تيترا هيدروكسيكينون » لا يختلف مفعوله عن مفعول العقار الاول .

● يعتقد الدكتور ايرفن بايج ، مدير الابحاث في مؤسسة كليفلند كلينك الامريكية ان الطب سوف يتمكن في السنوات العشر القـادمة من السيطرة سيطرة قوية على ضغط الدم العالي . فقد نشر هـذا الطبيب مقالا في مجلة « سكوب ويكلي » اعلن فيه ان معرفتنا بالآلية الكيمائية

لضغط الدم العالي آخذة في التعاظم . وهكذا فاننا سوف نعرف في المستقبل كيف نعالج هذا المرض معالجة منطقية ، لا بطريقة التجربة والخطأ كما نفعل اليوم .

اما الانتصار الثاني الذي سوف يحرزه الطب ، في العشر السنوات القادمة ، في رأي الدكتور بايج ، فيتمثل في تناقص الاصابات بالحمى الروماتيزمية. ان انتشار استعمال مضادات الجراثيم يساعد اليوم على التقليل من اذى هذا الداء .

● صرح الدكتور لويل كوغشال من جامعة شيكاغو ، امام مؤتمر السرطان الدولي السابع في لندن ، بانه اذا استمرت نسبة انتشار مرض السرطان على ما هي عليه الان فان ٤٠ مليوناً من الاميركيين الاحياء الان سيصابون بالمرض.

وقال ان الهدف الاول لجمعية السرطان الاميركية ، التي يرئسها هو انقاذ نصف هذا العدد على الاقل من الاشخاص المعرضين للاصابة بالسرطان ، وان بالامكان تحقيق هذا الهدف الان. وفي اميركا اليوم اكثر من ٨٠٠،٠٠٠ شخص تم انقاذهم . واضاف: ان بالامكان الآن انقاذ شخص واحد من كل ثلاثة اشخاص يشكون من هذا الداء ، اما قبل عشر سنوات فقد كانت النسبة واحداً من كل اربعة اشخاص .

وثمة بعض الشك في ان انواعاً من السرطان تنجم عن الهرمونات بينما يقول بعض العلماء ، ويشاركهم كثير من زملائهم في اوروبا ، ان لجراثيم الفيروس اهمية كبيرة في احداث المرض ان لم تكن العامل الاساسي فيه. وقال الدكتور كوغشال : كل انسان يعيش مدة طويلة يكون معرضاً للاصابة بالسرطان . اما السبب في اننا جميعاً لا نصاب بالسرطان فقد يعود الى مناعة طبيعية لم تفهم طبيعتها حتى الآن .

● قال الدكتور جون ماكافي استاذ الطب النسائي في جامعة منيزوتا الاميركية ان لقاحاً جديداً سهل التناول بالفم ويؤمن مناعة تكاد تكون تامة ضد شلل الاطفال ، قد اخترع في الولايات المتحدة . وهو افضل بكثير من لقاح سالك . وقد صنع هذا اللقاح الدكتور هارولنكوكس لحساب شركة ادوية اميركية وسيجرب على نطاق واسع في المكسيك وكولومبيا خلال الشتاء المقبل . وهو لا يمنع الشخص من الاصابة بالشلل فحسب ، بل يمنعه من حمل الجرثومة ونشر المرض . فان لقاح سالك قد خفض عدد الاصابات بالشلل الى حد بعيد ولكنه لم يمنع الشخص المحقون به من حمل الجرثومة ونقلها الى الآخرين .

● يتوقع اندريه ليبدنسكي رئيس الوفد السوفياتي في اللجنة العلمية التابعة للامم المتحدة والتي تبحث في قضايا الاشعاع الذري ان تزداد حوادث السرطان والامراض الوراثية في ملايين عديدة في كل جيل قبل سنة ٢٠٠٠ ، اذا لم تتوقف التجارب النووية .

● قال احد الاطباء يصف معالجته لمرض



السكر : بدأت علاج السكر بالانسولين ولاحظت مصادفة ان الاحماض الامينية ، لها اثرها في مرضى السكر ، والمسنين منهم بصفة خاصة وركزت تجاربي على هذه الاثار التي لاحظتها في مريض وفي ثان وثالث وكلها حالات كانت تتحسن بانتظام . وبدأت ادرس ، فتأكد لي ان اسباب السكر متعددة ولا يمكن ابداً ان يكون البنكرياس وحده سبباً للمرض ، ولما كان الانسولين لا يصلح الا للحالات عجز البنكرياس عن افراز مادة الانسولين ، فلا بد من علاج اخر لحالات السكر الناتجة عن ضعف الغدد الصماء او الصدمات القلبية او الشيخوخة او تصلب الشرايين مثلاً .. والفضل للصدفة فيما اقوم به الآن من علاج على اساس هذه النظرية الجديدة .

● من المحتمل كثيراً ان تكون عائلة القط غير ذات صلة بالنمر . فبعد عدة اختبارات للامصال الدموية المختلفة ، استطاع العلماء ان يبينوا ان القط قد يكون تابعاً لجنس جد مختلف عن جنس النمر او جنس السبع الجبلي ، على ان الذي يثير الدهشة ان فحص دم شيتا ، وهي حيوان سريع الحركة وثيق الصلة بالقط ، دل ان نسبة الصلة بينها وبين القط تبلغ ٧٦ بالمئة في حين ان الصلة بين القط والنمر تبلغ ٥٠ بالمئة .

وقد اجريت اختبارات اخرى للبحث عن وجود صلة بين القط وغيره من الحيوانات الاخرى ، فاتضح انها صلة ضعيفة الى حد كبير الا مع الضبع .

● صنعت بريطانيا آلة جديدة لتوليد الطاقة الهيدروجينية من ماء البحر تعد افضل من الآلة « زيتا » الموجودة حالياً ، واقل كلفة ، ويعتقد العلماء في هارويل واولدرماستون انهم سيتمكنون خلال خمس سنوات من تصميم وبناء محطة للطاقة الهيدروجينية لاستخدام وقود الهيدروجين من البحر على اساس تجاري . ولكن قد تمضي خمس سنوات اخرى قبل ان يتمكنوا من بناء محطات اقوى من نوع « زيتا » بنفس الطريقة التي تبنى فيها الان محطات للطاقة الذرية .

● تمكنت شركة «اتوميكس انترناشنال» من صنع صمامة اسطوانية سميت «صمامة السلامة» تجهز بها اجهزة التفاعل الذري . ووظيفتها ايقاف الجهاز عن العمل آلياً عندما تصل درجة التفاعل الى مستوى عال قد يشكل خطراً على الجهاز والذين يعملون به . وقد اجرت شركة فيليبس للبترول تجربة هذه الصمامة في محطة التجارب بايداهو ، فتمكنت الصمامة من ايقاف جهاز التفاعل الذي كان مقدار الطاقة فيه يزداد بمعدل ثلاثمائة ضعف في الثانية الواحدة . والصمامة تعمل آلياً ولا تحتاج لمن يديرها .

● ستكون اول طائرة ذرية اميركية بدون طيارين وسيمكن التحكم بطيرانها من مسافات بعيدة بحيث تستطيع التحليق في الجو فوق مناطق واسعة لمدة سنة كاملة . وقد كشف النقاب عن هذه المعلومات في شركة جنرال ايلاكتريك . والشركة دائبة منذ خمس سنوات على تطوير المواد والاساليب والمفاهيم الهندسية لاستعمال القوة النووية في الطائرات .

● قامت شركة ليتورنو الهندسية بوضع تصميم لقطار يمكن تسييره بواسطة المحركات النووية او المحركات العادية . وقد صمم بحيث يمكن تسييره فوق مساحات شاسعة من الارض كالمناطق القطبية او الصحراء الكبرى . وسيكون للقطار الجديد ٥٢ دولابا ضخماً من المطاط الصلب وسيصل طوله الاجمالي الى ٥٠٠ قدماً .

● في ٢٢ مايو ١٩٥٨ جرى في حوض كمدين لصناعة السفن من اعمال نيوجرسي صنع هيكل السفينة التجارية سفانا ، وهي اول مركب تجاري يسير بمفعول الطاقة الذرية . والسفينة الجديدة بمثابة مختبر عائم عند صناعة السفن الجديدة بالطريف والجديد من المعلومات التي تتعلق بتطبيق الطاقة النووية على النقليات البحرية . وقد روعي في صنع هذه السفينة خصائص السفن المختصة بالشحن والركاب معاً . فهي تقيس ١٧٨ متراً طولاً و٣٢ متراً عرضاً ولها من السعة ما يسمح لها بنقل ٦٠ مسافراً وعليها ١٠٠ نوتي وتشحن ١٠ آلاف طن من البضائع وتعمل بسرعة ٢٠٫٢٥ عقدة في الساعة (٣٧ كلم) . وفيها من وقود الاورانيوم ما يكفيها للعمل سنتين ونصف دون ان تحتاج لتجديد وقودها الذري . اما الفرن الذري الذي استعمل لها فهو من الطراز الذي يعمل بالماء المضغوط .

● يقال ان حاملة الطائرات الذرية التي يجري بناؤها في اميركا ستسمى « انتربرايز » تخليداً لذكرى الحاملة التي كانت في الخدمة خلال الحرب العالمية الثانية بهذا الاسم وسابقاتها الست . وجرى ارساء قاعدة حاملة الطائرات المذكورة في فبراير ١٩٥٨ وستجهز بثمانية افران ذرية تمدها بالقوة المحركة لمدة سنتين متصلتين دون حاجة الى تجديد وقودها . والمتوقع ان يتم الفراغ منها عام ١٩٦١ .

● اسفرت اعمال التنقيب التي قامت بها شركة اوازيس ، وهي فرع لشركة اوهايو للبترول عن اكتشاف حقل ثالث للبترول في طرابلس الغرب . وقد جاء في تقرير مدير الشركة انه امكن استخراج ٧٥ طناً من البترول خلال ساعتين ونصف ، نتيجة التنقيب في مساحة قدرها ١٢٠ كيلو متراً تقريباً جنوب خليج «سرت» .

وكان قد سبق اكتشاف الحقل الاول قرب الحدود الجزائرية كما سبق اكتشاف حقل آخر بليبيا الوسطى على مسافة ١٦٠ كيلو متراً الى الجنوب من ساحل البحر الابيض المتوسط .

● اطلقت اميركا اكبر اقمارها الصناعية في صاروخ جوبتر الثالث ودخل الجرم مداره في اتجاه الشمال الى الشرق ويوجد في الفضاء قمران صناعيان اميركيان غير هذا الاخير .

● تعرض الآن شركة «دلتاتانك مانيفكتشرنغ» نموذج سيارة شاحنة تستطيع « نفخ » حمولتها من المواد الناعمة « كالاسمنت الناشف او القمح او الطحين» . وهذه الشاحنة التي تشبه ناقلة سيارة للزيت تستطيع ان تدفع بحمولتها الى العنابر بواسطة خرطوم يصل طوله الى الخمسين متراً قطره ١١ سنتيمتراً وبامكان احد انواع هذه الشاحنات نقل ٨٠٠ قدم مكعب وما زنته ٥٥ الف رطل انكليزي .

● تشغل باكوتسك ، الواقعة في الشمال الشرقي من سيبريا ، المركز الاول في الاتحاد السوفياتي من حيث احتياطيات الفحم الحجري ، والملح المعدني والغابات . وتحتوي مكامن الغاز ، التي اكتشفت في السنوات الاخيرة بياكوتسك ، على مليارات الامتار المكعبة .

ومن اجل استثمار هذه الثروات الطبيعية بوشر بوضع برنامج طويل الامد يهدف الى انشاء صناعة كيميائية .

● قامت مؤخراً مؤسسة الكيمياء في لندن بأجراء تجارب للوصول الى طريقة قليلة التكاليف لحفظ الحليب خلال مدة طويلة وذلك بوضع الحليب ضمن انابيب من معدن خاص ثم اطلاق عليه بخار بارد جداً من مواد كيمائية غير سامة فيتجمد الحليب ويتحول الى قطع فيجري توضيبه ضمن اكياس من مادة خاصة تحفظه بحرارة عادية ويقول مدير المؤسسة ان هذه الطريقة بامكانها حفظ الحليب معقماً وسالماً من كل ميكروب وصالحاً للاستعمال بدون ان يتغير طعمه خلال سنة كاملة .


السِرّ بسيط ...
إنّه "تايد"
هو راضٍ
وهي مسرورة
تايد : يجعل الثياب البيضاء ناصعة والملوّنة زاهية .
تايد : يُعطي الغسيل رائحة زكيّة عطرة .
تايد : يُستعمل على السواء بالماء البارد أو الساخن .
تايد : سعره أوفر فالقليل منه يكفي للكثير من الغسيل .
Tide
تايد
يحمل عنك
عبء الغسيل

● كشفت شركة بوينغ لصنع الطائرات عن النموذج الاول لقاذفة القنابل ج ٥٢ – ب « ستراتوفورترس » التابعة لسلاح الجو الاميركي والتي يبلغ مداها ستة الاف ميل اي ما يزيد على ٩٦٠٠ كيلومتر .

وقال السيد شوالتر نائب رئيس الشركة ، ان هذه الطائرة هي قاذفة قنابل ثقيلة بامكانها ان تصل الى مسافات ابعد وتضرب بقوة اكبر وتدافع عن نفسها مدافعة افضل من اية طائرة في العالم . وبامكانها العمل على علو ٥٠ الف قدم اي ما يزيد عن ١٥ الف متر . اما سرعتها فهي ٦٥٠ ميلا بالساعة اي حوالي ١١٠٠ كيلومتر وبامكانها اطلاق الصواريخ وحمل اسلحة نووية متعددة .

● اعلنت صحيفة «نيوز كرونيكل» انه يجري في بريطانيا صنع سفينة فضائية ذات مقعدين تستطيع العودة الى الارض . ويبلغ وزن هذه السفينة التي ستكون على شكل طبق طائر ، خمسمئة كيلوغرام . وستسير بواسطة صاروخ من طابقين .

● علم الجمد علم يدور على مقومات الزمهرير وطبيعته ومقوماته . ويهتم هذا العلم على الاخص باصطناع درجة حرارة اقرب ما تكون الى درجة الصفر المطلق ثم درس الخصائص الجديدة التي تكسبها العناصر والاجسام في مثل هذا الوضع بالذات . والصفر المطلق هو النقطة التي يبلغ فيها الزمهرير او البرد الذروة . وهذه النقطة توازي عملياً درجة ٢٧٣ تحت الصفر في المقياس المئوي . فهي اخفض درجة يمكن نظريا اصطناعها على هذه الارض .

ولعل اهم مركز للمباحث المتعلقة بعلم الكريوجنكز (علم الصقيع او الجمد) هو مختبر مصلحة المقاييس الاميركية الموجود في ولاية كولورادو . والمباحث التي تجري في هذا المركز قوامها الغازات والسوائل والعناصر الصلبة والتفاعل الذي يظهر عليها اذا ما عرضت لدرجات متفاوتة من البرد بعد درجة البرد المطلق . وتطرأ على هذه العناصر عوارض وخصائص لا يستطيع العلماء تحليلها او فهمها مع ان العلم استطاع الاستفادة من هذه الخصائص الجديدة دون فهم اسرارها .

● استنبط العلماء في جامعة كاليفورنيا ، عقاراً جديداً لمكافحة العث والارضة التي تفتك بالخشب والمفروشات الخشبية ، يتكون من نوع من المساحيق الكيماوية يلصق جيداً بالخشب ويقضي على الارضة الناخرة باسرع مما يقضي عليها اي مبيد آخر للحشرات اذ يكفي ان تلمس الشة غبار هذه المساحيق حتى يعلق بها ، ويمتص ما على هيكلها من مادتي الزيت والشحم الواقيتين لها من النشوفة واليبس . ولا تلبث الحشرة ان تموت بعد ساعتين او ثلاث .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان الولايات المتحدة قد تستخدم التفجير الهيدروجيني لحفر ميناء في دائرة القطب الشمالي في الاسكا .

وستفحص البعثات المنطقة لتقرر هل من الممكن تحقيق هذا المشروع الذي يبدو خيالياً .

● يقول ا . بوم احد كبار فلكيي مرصد مونتا بالبار اكبر مراصد العالم انه لاحظ في رصده للكواكب التي تدور حول الشمس ان هناك كوكبا يسير نحو فلكنا بسرعة ١٢٠ الف كيلو متراً في الثانية الواحدة وان سرعة هذا الكوكب اخذت تزيد من يوم ليوم اذ انه في خلال الاشهر التي حلت كانت سرعته لا تتجاوز الـ ٥٢ الف كيلومتراً في الثانية الواحدة وان هذه السرعة التي يسير بها هذا الكوكب تؤكد نظرية انفجار الكون من آن لآخر .

● وقع انشقاق ارضي في قرية « ايو » الواقعة على بعد عشرة كيلومترات جنوبي محافظة مدينة حماة في سوريا . وقد وقع الانشقاق بشكل مستدير قطره ٢٠٠ متراً وغارت الارض الواقعة ضمن دائرة الانشقاق الى عمق يتراوح بين ٦٠ – ٨٠ متراً . واقتلع معه اشجاراً ضخمة عمرها عشرات السنين ولم يعد لهذه الاشجار من اثر ..

● يقوم العلماء التابعون للمعهد السميثوني في وشنطن بدراسة جمجمتين محفوظتين جيداً لكلاب شبيهة بالقطط كانت تعيش قبل ٥٠ مليون سنة . ويبدو ان تلك الحيوانات كانت وثيقة القرابة بسلالة الكلاب الموجودة الآن . وهي في حجم الكلاب الاسكتلندية تقريباً وتدعى دافون ولها جمجمة مستطيلة قليلاً ووجه صغير وانف قصير يندق بين محجري العينين .

● سيحاول سلاح الجو الاميركي اطلاق كوكب صناعي حول القمر في منتصف الشهر الحالي . وفي هذا الموعد سيبلغ القمر اقرب نقطة الى الارض وهي مسافة ٣٥٤ الف و ٣٤٠ كيلومتراً . وسيستخدم سلاح الجو الصاروخ « تور ايبل » المجهز بطابق ثالث والمزود بالاجهزة .

● اعلنت محطة « فوستو » السوفياتية ، الموجودة داخل القارة القطبية الجنوبية بجوار القطب الجنوبي المغنطيسي ، انها سجلت حرارة ٨١،٤ درجة تحت الصفر ، وهي ادنى حرارة تسجل على الكرة الارضية .

● قال الدكتور كارل يونغ العالم النفساني السويسري المعروف في تقرير نشر اخيراً : ان الاشياء الطائرة المعروفة باسم « الصحون الطائرة » حقيقية وانها تظهر دلائل تشير الى ان مخلوقات شبه بشرية تقودها وكل ما استطيع ان اقوله عن ثقة هو ان هذه الاشياء ليست مجرد اشاعات ، فقد شوهدت اشياء ولا يمكن ايجاد تفسير نفساني فقط لها .

وكان الدكتور يونغ قد بدأ ابحاثه عن الصحون الطائرة سنة ١٩٤٤ . وقال ان الملاحظات التي جمعها في هذه المدة تدل على ان الصحون لا تتصرف بصورة تنسجم مع قوانين الطبيعة ، بل تبدو وكأنها دون ثقل . فاذا أمكن التأكد من ان مصدرها ليس هذه الارض فان ذلك يدل على وجود علاقة بين الكواكب يديرها عقل . ولا يمكن الآن التكهن بما يمكن ان تعنيه مثل هذه الحقيقة بالنسبة الى الانسانية .

● استطاع المهندس الالماني بيتر لنجروسه الذي يعمل في مرصد مدينة بون للمرة الاولى في تاريخ الرادار ارسال اشارات لاسلكية موجهة الى القمر واستقبال صداها للمرة الثانية . كما استطاع بالطريقة عينها التحدث الى زميل له في الولايات المتحدة . وحدث ذلك عندما كان عالم اميركي في مدينة جرزي في الولايات المتحدة يقوم بتوجيه اشارات لاسلكية الى القمر عبر الاطلسي ، فتمكن مرصد بون من استقبال صدى هذه الاشارات بوضوح مدة ساعتين كاملتين بواسطة انتين خاص ، ثم حدث بعد ذلك تشويش اثيري بسبب هبوب احدى العواصف .

وقد صرح الزميل الاميركي بعد ذلك بانه كان يوجه اشاراته بواسطة جهاز ارسال ذي قوة ٥٠ كيلوات ومرآة على شكل قطع مكافيء تزن ٣٤ طناً ، كانت تقوم بدور الانتين . وقد بلغت سرعة الذبذبات التي ارسلها من اميركا الى القمر ٣٠٠ الف ك م ثانية فكانت تنعكس عليه ثم تعود ثانية الى الارض كما تنعكس .



الشاعر فؤاد ابي زيد

فؤاد ابي زيد شاعر لبناني باللغة الفرنسية . له مجموعتان «قصائد الصيف» و « قصائد جديدة » . حاز على جائزة الاكاديمية الفرنسية للشعر سنة ١٩٣٦ . مات في ١٤ يوليو الماضي وهو في العقد الرابع من عمره .

•

فؤاد ابي زيد ، في دنيانا كالطيف .. ما ان شع نور ادبه حتى خبا ، وما ان أشرقت شمس شبابه حتى غابت .

كل شيء فيه كان ينبيء بمستقبل لا ارفع ولا المع .

نفحة العبقرية . موهبة الشعر . شعلة الذكاء . سرعة الخاطر . دقة الملاحظة . غنى الثقافة .

ولو لم يقس عليه الدهر باكراً ، في ساعة من ساعات جنونه ، ويبله بصحته ، لكان تبوأ مكانة محترمة في العائلة الشعرية الفرنسية .

فهذا ديوانه « قصائد الصيف » ، الذي اصدره وهو دون الثامنة عشرة من عمره ، قد نال جائزة الشعر من الاكاديمية الفرنسية ، وكتب عنه شاعر الجيل بول فاليري ،دراسة لم يكتم فيها اعجابه بصديقه الفتى صاحب الديوان .

ثم كتابه « قصائد جديدة » جعل الاوساط الادبية الراقية ، هنا وفي باريس ، تردد صداه .

*

كان صديقاً لي ، عرفته قبل ثلاث سنوات ... وكثيراً ما كنا نلتقي فنجلس بعض الوقت نتجاذب الاحاديث ولا سيما التي تتعلق بالادب والادباء. وحديث ابي زيد فيه ظرف ومتعة .. لا تمله .. بل انك لتطلب منه المزيد.. يلذك اسهابه ، عن خصائص عمالقة الادب ، فيقذ لك اثارهم .. يصنفها .. يقيمها .. يحللها . ويضن في ان يرى هــذه الطائفة من الكتاب العالمين ، بالمنظار الذي نرام فيه نحن ، من عظمة ومجد وجبروت . انه من هــذه الناحية بخيل ، وبخيل عليهم كثيراً ، لا ينحني تقديراً الا لستة منهم فقط .. لشكسبير ، وبيرون ، وغوته ، وبودلير ، وراسين ، وفاليري .

اما شعراء القرن الثامن عشر ، اما زملاؤه في القرن التاسع عشر ، اما شعراء روسيا ، اما غيوم ابولينير ، سان جون برس ، وفريدريك غارسيا لوركا ، وجان كوكتو ، واراغون، وبابلو نيرودا ، وبول ايلوار ، وجيرار ده نرفال ، وسوام ، فيتجاهلهم قصداً ، لانهم في نظره لم يقوموا بفعل خلق ، قلبوا معه المقاييس المألوفة في الشعر ، بصورة جذرية والى حد بعيد . فالقوة الشعرية ، بل السحر الشعري يكاد يكون منعدماً عندهم .

ورأي فؤاد ابي زيد في اللبنانيين الذين كتبوا ويكتبون باللغة الفرنسية، نثراً كان ام شعراً ، هو رأي صارم صريح ، لا محاباة فيه ولا مداجاة . انه يسمي الاشياء باسمائها . يقــول عن شارل قرم ، وهكتور خلاط ، وجورج شحاده ، وميشال شيحا ، وفرج الله الحائك ، وعن فؤاد ابي زيد نفسه ، انهم جماعة تطفلوا على الادب بينا الادب الصافي منهم براء . ويتساءل عن الجديد الذي طلعوا به علينا . وعن التأثير الذي احدثوه في مجرى الادب الفرنسي المعاصر . ثم ينعتهم بانهم مقلدون في مواضيعهم ، سطحيون في تفكيرهم ، تقرأ لهم فلا يعلق في ذهنك منهم شيء. انك لا تتفاعل مع كتــاباتهم .. فلا يثيرونك ، ولا يهزونك ، ولا يحركون فيك وترا .

فالى جانب هذا الكبر .. وقل هذا «الغرور» الذي تحسه في ابي زيد، ومرده على ما اظن الى ثقته بنفسه اولاً ثم الى فقدانهذه الثقة بعدما دارت به الايام، وقلبته رجلاً عصي المزاج، تنتابه الوساوس ويساوره التشاؤم... الى جانب هذا الغرور ، فانه يتلبس بتواضع نادراً ما نجده عن سواه من حملة الاقلام .

*

كان ابي زيد يؤثر الوحــدة ، فيرخي فيها للتأمل عنانه .. وللخيال انطلاقه .. فيسبح برؤى كثيراً ما قادته الى افاق المجهول ، حيث عاد منها مكتنزاً بومضات الفكر .. وبلدته « ساحل علما » التي تقبع بين احضان الجبل ساهرة على خليج جونية ، هي التي صهرته وبلورته وشدت به الىهذا السهوم الحالم ، واننا لنتلمس معالمه على رأس يراعته ، التي نز منها الصفاء والزرقة والخضرة والعطر ...

*

وان نحن عدنا الى كتابيه « قصائد الصيف » و « قصائد جديدة » ، لطالعتنا بميزة عنهما ، هي مزيج من الشعور الغامض والخيال القلق مسبوكة فصولها في قالب رائع وخلق جميــل ، يكتنفهما احساس عميق يتصل باللانهاية والازل .

ونتبين من خلال سطور هذين الكتابين ان ابي زيد ينظم الشعر لذاته الشخصية، فلا يتمدد قواعد، ولا يعتمد حدوداً. فالشعر المنثور قد استهواه لانه حسب اعتقاده اكثر تزاوجاً مع انتفاضات النفس. ثم انك تلاحظ ان لا مبدأ خاص له في الشعر ... ينظم على طرق مختلفة، فبعض الاحيان يضع قصيدة دون ان يجهد مخه في موضوعها ، غير انه غالباً ما يحمل القصيدة مدة من الزمن في قلبه ولا يسمح لها بالظهور الا بعد ان يعجنها في عقله وشروده، ويكون في حالة نفسانية مرتاحة ومشبعة بالعاطفة .

*

والمرأة ، هذه المخلوقة اللغز التي هي مصدر وحي لكل شاعر وأديب على مر العصور ، لم تكن مكتوفة اليدين حيال شباب شاعرنا . فقد سلبت لبه .. تمتعنه بجمالها .. لفته بشميمها . فالحب الذي مرغته فيه واذاقته حلوه ومره لم ينجها من احتقاره . لماذا كان يحتقر المرأة ؟ .. وكيف ؟.. وما هي الاسباب ؟.. ان ابي زيد نفسه ، لم يوضح لنا عن الجواب .

*

... ان صاحب « قصائد الصيف » و « قصائد جديــدة » ، الذي احب الصيف ، فكتب في جوه وعن موسمه .. ابى القدر الا ان ينتزعه منا في الصيف . فكأن موته كان على موعد معه !

[النهار]

رياض حنين

ذكريات الاخطل عن طانيوس عبده

ما التفت مرة الى الحقبة التي لم تبعد كثيراً عن يومنا هذا الا آلمني ان ارى عدداً من شعرائنا وادبائنا الذين استضاءت بهم تلك الحقبة يرقدون تحت ظل من النسيان حتى ليمر الشهر بعد الشهر دون ان يهتف باسمهم يراع او تمثر بهم ذكرى . وحسبك بطانيوس عبده وهو من عرفت دليلاً على سائرهم . « بشاره الخوري » .

•

اذا عد اعلام الأدب العربي جاء فيهم طانيوس عبده يزجي امامه جيشاً من الكتب لا تكاد تفي أيام السنة ولياليها بمطالعتها . وحسبك منها هذه الروايات التي عربها والتي جعلت اسمه على شفة كل أديب في كل بلد فيه عربي يقرأ .

ولقد كنت في عهد الحداثة من الذين اولعوا بمطالعة الروايات لا سيا التي عليها اسم طانيوس عبده ، فلقد كان له في التعريب طريقة عرفتها فيه بعد ان رجع الى بيروت وذلك على ما اذكر عند اعلان الدستور في تركيا سبتمبر عام ١٩٠٨ .

انظر الى الرجل الضئيل الشاحب او بالأحرى الى هذا الوجه المحروق بالسويداء جالساً الى طاولة صغيرة عليها كأس من العرق في قهوة -- خضراء -- وبيده رواية فرنسية يطالع العشرين من صفحاتها دفعة واحدة ثم يضعها جانباً ويتناول اوراقاً وقلم رصاص بطول الاصبع ويأخذ في (درز) الكلمات (درزاً) سريعاً فما هو الا نصف ساعة حتى يملأ نحو الخمسين ورقة بحجم وسط من غير ان يراجع كلمة او يأتي بحركة الا ان يمد يده الى الكأس المرة بعد المرة .

ولم يكن طانيوس عبده خلال السنوات الخمس بين ١٩٠٩ و ١٩١٣ ليحدث دوياً في العالم الأدبي لأنه كان من عادة الصحف في بيروت ان لا تأذن لمحرريها بأن يلحقوا اسماءهم في مقالاتهم فخمل ذكره او كاد الا ضمن دائرة محدودة من صحبه يرسل فيهم المقطع اثر المقطع من شعره لغرض من الأغراض يضمنه نكتة لطيفة سائغة فينتشر في الحلقات الأدبية الاخرى ولكن الى حد .

كان حظ طانيوس عبده في الحرب كحظ الاكثرية منا شؤماً وتعساً. فلقد قضى عليه سوء الطالع ان يكون تحت السن العسكرية عندما اضطر الاتراك الى تجنيد الاحتياطي فكان يلوذ حيناً بالاختفاء وحيناً بالسعي لجمع البدل العسكري وهو مع ذلك رب عائلة لها عليه واجبات المعيل . وعلى الجملة فلقد كانت سنوات الحرب عليه قاسية جداً صورها في بعض شعره فقال يصف ملاحقة الجند له .

سجين في البيوت وليس ذنبي   سوى أني اخاف من القتال
اروح فتبحث الاجناد عني   كأني من صناديد الرجال
أيرجى من خيالي قتالاً   وقد أصبحت أفزع من خيالي

وقال في ضيق ذات يده :

أموت كي اكسبها ليرة   عزت وهانت عند قوم وقوم
أموت كي ابدلها فضة   رائجة من بعد خسر وروم
أموت حتى اشتري ان أجد   خبزاً بها من بعد جوع وصوم
فيا له عيشاً نذوق الردى   ثلاث مرات بـه كل يوم

وقد وجه بهذين البيتين الى المرحوم يوسف خطار غانم وكان يومئذ خازناً في شركة القمح التي تولى ادارتها الدكتور نجيب بك الأصفر :

يا يوسف اذكر سميك يوسفاً   واذكر أخاك به وفرج كربته
قد كان مثلك خازناً لكنه   لم ينس في زمن المجاعة اخوته

* * *

كان ذلك على ما أذكر في أواخر سنة ١٩١٧ عندما تلقيت - وأنا في معتزلي قرب نهر بيروت وذلك بعد انقضاء عهد الفزع الأكبر - تذكرة من طانيوس عبده يطلب الي فيها أن الاقيه الى قهوة على نهر بيروت لشأن من الشؤون ، ولم اكن ساعة وصول التذكرة في المنزل حتى اذا عدت اسرعت الى القهوة فاذا هو قد مل الانتظار فذهب تاركاً لي هذه الابيات :

الى الاديب الفاضل ابن الخوري   والشاعر المتقد المشهور
أرجو بأن تدفع عني قهوه   قد رسبت من ثقلها في الركوه
غب اطلاع للخواجا متري   في حانة في النهر قرب الجسر
ربع ريال ورقاً لا فضه   فقد مضت ايامها المبيضه
وهـذه القيمة للجناب   ندفعها في موقف الحساب

وبينما انا في اليوم الثاني انفقد بقرة لي كنت اقتنيتها في بستان استأجرته للاستعانة بـه على ضنك تلك الايام اذا بطانيوس مطل على البيت يناديني ضاحكاً من موقفي هنا فما ان اقبلت عليه حتى ابتدرني بقوله :

عهدتك من قبل ترعى البشر   فما بالك اليوم ترعى البقر ؛

وكانت زيارته توسطاً لبيع مطبعة البرق فتمت الصفقة على يده بعد شهرين من هذه المقابلة .

وكان العام ١٩٢٢ عندما أصبح طانيوس عبده رفيقاً لنا في تحرير « البرق » فكان يتولى فيه تعريب الرواية ومقالة السياسة الخارجية ونقدات طائر وهو العنوان الذي كنا نكتب تحته بعض الشوارد بتوقيع «دوري».

وكتب في اليوم الأول نقدته الاولى بدون توقيع او بوضع نجمة تحتها على ما اذكر ، ووضع في رأس الرواية : تعريب « البرق » وشد ما كان عجبه عندما صدر « البرق » في اليوم التالي وقد رأى اسمه تحت « النقدات » وفي رأس الرواية لأنه كان من عادة الصحف كما قلنا التحريم على محرريها توقيع ما يكتبون فالتفت الي رحمه الله وقال : عجباً منك كيف تثور على عادة زملائك ! فقلت له مازحاً : او تظن اني ارضى ان ينسب الي مثل نقدتك هذه ؟ وكان قد كتبها على انها ستنشر بدون توقيعه فجاءت على غير ما ارضى ولكنه عندما علم ان اسمه سيعلق على جميع ما يكتبه شرع يعتني به حتى أصبحت النقدات قبلة القارئين وبعث بها شهرة طانيوس عبده بعد ان كان علاها الصدأ في السنوات الاخيرة .

لم يكن طانيوس عبده يعني بانشائه معشار عنايته بشعره وربما كان ذلك بتأثير الانشاء الروائي المتراخي حتى ان النقدات نفسها كان يعوزها بعض الشد في اوتارها ولا سيا في ختاماتها كان تختم بنكتة او بسجعة مستقاة من نكتة لتبقى أثرها في نفس القارىء وهو ما لم يكن ينتبه اليه ، ولكن اسمه كان يسيطر على القارىء فيخضعه لسلطانه ، اما دقته في شعره وحيلته

الى النكتة يرسلها على اجنحة من ذهب تحت أشعة الشمس فهو نسيج وحده .

لم يكن طانيوس عبده يخالطنا كثيراً فلقد كان من حلقة ثانية اذكر من اركانها الشيخ وديع نفاع الذي كان شديد العطف عليه . وقد صدف يوماً ان احد اعضاء حلقتنا الليلية وأظنه المرحوم يوسف عوده اهدى الى احد اعضاء الحلقة التي كان طانيوس من اعضائها هدية من العرق حكمت الحلقة بعدم جودتها وكلفوا طانيوس ان يكتب للمهدي أبياتاً يداعبه بها فقال :

يا مهدي الراح الرقيقة انها ... جازت برقتها معاني الراح
اهدي الي مدامه وكأنما ... اهدى الي خلاصة الارواح
ولقد ثمنّاها قبيل مذاقها ... فاذا بنا لم يبق فينا صاح
وتبلجت وتأرجحت فزففتها ... لابن السحاب فلم تطب بنكاح
حتى اذا ادركت سر شعاعها ... وفهمت معنى عطرها الفياح
اشفقت اشربها لباهر نورها ... فانرتها وجعلتها مصباحي

فنظم المرحوم الشيخ اسكندر العازار باسم صاحب الهدية ابياتاً رد بها على أبياته ، هذا بعضها :

اني زففت الى الكريم سبية
لولاه لم تر من يدي سراحها
كانت لروحي راحة ولطالما
اهدت الى ذواقها الارواحا
والله ما هي خمرة ليظنها
الاعشى بحالة سكره مصباحا
هي بنتها ماء الفرات أديمها
والعطر كان بردها فياحا
ما أسكرت بالشم الا شاربا
ما عد ليلة شربه الاقداحا
فصحا يمزق عرضها بقريضه
وعلى ربابته غدا نواحا
هي لم تكن كفؤاً فجد بطلاقها
وكفى الاله الصاحبين صياحا

وذهب طانيوس الى مصر سنة ١٩٢٦ تحت ضغط داخلي قاهر وقطع ما بيننا وبينه حتى كدنا نجهل اثره لولا ما كنا نقرأه له من حين الى آخر في صحف مصر الكبرى فكتبنا الى صديقنا الكريم شاعر القطرين خليل بك مطران نعتبه وطانيوس لسكوتهما على سابق وعدهما بالمواصلة فجاءنا من الخليل بعد أسابيع الرسالة الآتية :

اخي الحبيب : كتابك اقام في القاهرة أياماً طوالاً ينتظر عودتي من رحلة صيفية رحلتها ولم ادع في مدتها كمادتي عنواناً يخاطبني به احد لانني التمست شيئاً من الراحة بعد عناء مجهد وشغل بغيض ثقيل . فلما رجعت كان الكتاب وتلقاءه اعداد جمة من البرق على المنضدة تجاهي . فاما البرق فقد سررت كثيراً بعوده شائقاً مملوءاً حياة وأما الفرصة التي سنحت لي وتولت قبل ان أستطيع انتهازها لخدمة أؤديها الى الاخ العزيز والاديب الذي يباهي به البيان العربي كل أديب ، فهذا قد آسفني نهاية ما تؤسف مماكسات الزمن .

على اني سأهدي الى البرق أشياء ربما كفرت عن ذنب الزمن لا ذنبي ويومئذ ينشرح صدري بعد انقباض .

الاخ طانيوس عبده مريض من مدة باليرقان وهو على ضعفه وأخذ العلة مأخذها منه يكتب لأن واجباته غير مقصورة على ذاته فان هان ما يختص به فجانب العيلة وهي بعيدة عنه غير هين . لهذا لم أقرأ له عتابك واكتفيت بأن ابلغه سلامك وشد ما اهتز له طرباً كما انني دعوت له بالشفاء العاجل حتى يتسنى له ولي بجانبه ان نفي ببعض ما علينا للأخ النابغة الحبيب .

اختم بلثم عارضيك مشتاقاً وباهداء ازكى تحياتي الى اخواني الاعزاء من كل اديب ومنتسب الى الادب وان بي لحنينا الى كل منكم واسأل الله ان يقيض لي اقامتكم في الصيف الآتي .

المخلص : خليل مطران

ولم تمض ايام على وصول هذه الرسالة حتى فوجئنا ذات مساء برسول يقول لنا ان طانيوس عبده يريد مقابلتكم وهو الآن في مستشفى الروم .

ويظهر انه ثقل عليه المرض سريعاً فاحتملوه الى بيروت ثم الى المستشفى رأساً .

لا نذكر الرفيق الذي صحبنا ذلك اليوم الى المستشفى وكانت الساعة الثامنة مساء فدخلت الى الغرفة التي اقاموا فيها ، لقد كان النور ضعيفاً ولكني وقفت عند الباب وقد وقعت عيني على خيال أسود مسجى على سرير ابيض أخطر ببالي تلك المومياء التي ليوسف بك كرم في احدى كنائس اهدن ، ولكنه اسرع فبادرني بكلمة البسها — على عادته — نكتة كانت أشبه بحرتقة عظام على حفافي قبر جديد ، مر ذلك بسرعة البرق وكنت قد دنوت منه وصافحته متكلفاً الابتسام ، ومتكلفاً النكتة اريد ان اهون عليه موقفه ،

الشاعر بشارة الخوري

وابدد ولو قليلاً هذه الغيوم السود التي حجبت كل وجه فما استطعت ان انفذ منها الى تلك الابتسامة الحزينة التي كانت تقف حائرة على شفتيه ايام الحياة ، اقول ايام الحياة لان طانيوس كان بالفعل قد مات وما هو الا ترابه الذي حمله — كما يقولون — الى بيروت التي استقبل فجره الاول فيها ، وسكب آلامه عليها ، وصب وجهه الى الابد عنها يائساً منها حانقاً عليها ، فلقد وهبها أبهر مواهبه ، وترك في جيدها أجل جواهره ، فما ظفر منها بابتسامة ولا بادلته الوفاء قدر قلامة .

وانصرفت عنه بعد ساعة أدون بعض ما اراده مني على ان اجيئه في اليوم الثاني ، ولقد جئته ولكن لاسكب عليه الدموع ، فاطرقت عند سريره برهة كأنني واحدة من تلك الشموع .

[الحديث]

بشاره الخوري
الاخطل الصغير



٢٧ يونيو ١٩٥٨ – يواصل همرشولد مشاوراته في هيئة الامم بصدد الازمة اللبنانية .

– توترت الحالة على الحـدود بين كمبوديا وفيتنام الجنوبية .

٢٨ – سافر الرئيس جمال عبدالناصر في زيارة ليوغسلافيا .

٢٩ – وصل مكميلان رئيس الحكومـة البريطانية الى باريس لاجراء محادثات مع الجنرال دي غول .

٣٠ – صدر بلاغ بريطاني فرنسي مشترك يعلن عن وضع اساس موحد للتعـاون بين الدولتين .

اول يوليو – اعتقل في تونس عشرة وزراء سابقين من العهد الماضي .

– افتتح في جنيف مؤتمر الخبراء النوويين للبحث في وسائل مراقبة التجارب الذرية ويضم المؤتمر اميركا وبريطانيـا وفرنسا وكندا وروسيا وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

– اقر مجلس الشيوخ الاميركي قانونا ينص على جعل ألاسكا الولاية التاسعة والاربعين من الولايات المتحدة الاميركية .

٢ – وصل الشاه محمد رضا بهـلوي الى وشنطن وقد استقبله الرئيس ايزنهاور .

– قال الجنرال ناثان توينغ رئيس اركان الحرب الاميركي ان الولايات المتحدة مستعدة لارسال قوات الى لبنان اذا دعت الحالة .

– وقع اشتباك بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية على شاطىء بحيرة طبريا .

– الفـامنتوري فانفاني الوزارة الايطالية .

٣ – اقترح خروشيف رئيس الحكومة السوفياتية على اميركا عقد مؤتمر للخبراء لوضع اتفاق للحيلولة دون حدوث اي هجوم مباغت من دولة على اخرى .

– صرح همرشولد انه لم يجد اي برهان على دخول قوات الجمهورية العربية المتحدة الى لبنان ولكنه لا يستطيع ان يحدد كمية المساعدة التي تلقاها الثوار منها . وقـال انه ليس ما يبرر استعمال تعبير « التدخل الكثيف » .

٤ – وصل دالس وزير الخارجية الاميركية الى باريس للاجتماع بالجنرال دي غول .

٦ – اعلن وزير خارجيـة تركيا فطين زورلو ان تركيا مستعدة للدخول في مفاوضات على اساس المشروع البريطاني لقضية قبرص ودعا الى عقد مؤتمر تحضره بريطانيا واليونان وتركيا واتخاذ المشروع أساساً للباحثات .

٧ – اعلن في دمشق ان تركيا قد اقفلت حدودها مع الاقليم السوري .

– اجتمع وزير الخارجية الاميركية دالس بهمرشولد لبحث الازمة اللبنانية .

٨ – وصل الى جزيرة بريوني افانجيلوس افيروف وزير الخارجية اليونانيـة تلبية لدعوة يوغسلافيا لاجراء محادثات ثلاثية مع كوكابوفيتش وزير خارجية يوغسلافيا ومحمود فوزي وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة .

– وصل الى القـاهرة الماريشال سيرجي رودنكو رئيس اركان القوات الجوية السوفياتية في زيارة رسمية تلبية لدعوة المشير عبدالحكيم عامر .

٩ – صدر بلاغ عن محـادثات وزراء خارجية يوغسلافيا واليونان والجمهورية المتحدة اعلنوا فيه ان علاقاتهم الودية ستكون عاملاً فعالاً لنشر الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط وشرق البحر المتوسط .

١٠ – خلعت بريطانيا سلطان لحج السيد علي عبد الكريم ومنعته من العودة الى السلطنة .

– اختتم الرئيسان تيتو وعبد الناصر محادثاتهما واصدرا بلاغاً مشتركاً شجبا فيه السيطرة الاجنبية والتدخل الاجني في شؤون البلدان الداخلية .

١١ – صادق مجلس العموم البريطاني على قانون يجعل من سنغافورة دولة مستقلة .

١٢ – قدمت اليونان احتجاجـاً شديداً الى بريطانيا ضد اعمال العنف المستمرة في قبرص .

١٣ – وقعت الجمهورية العربيـة المتحدة وشركة قناة السويس السابقة اتفاقاً نهائياً في جنيف للتعويض على حملة الاسهم وبذلك انتهت آخر عقدة من مشكلة القناة .

١٤ – أعلن راديو بغـداد ان ضباط الجيش قاموا بانقـلاب واستولوا على الحكم وأعلنوا الجمهورية . وتولى الزعيم الركن عبدالكريم القاسم رئاسة الحكومة . وتألف مجلس سيادة من ثلاثة اعضاء يتولى مهام رئاسة الجمهورية . وقد اعترف مجلس السيادة بالجمهورية العربية المتحدة . هذا وقـد اعلنت الاحكام العرفية في البلاد .

– صدر بلاغ رسمي في عمـان يقول ان الملك حسين تولى سلطاته كرئيس للاتحاد العربي اعتباراً من اليوم كما باشر سلطاته كقائد أعلى للقوات المسلحة . واصـدر الملك امراً اتحادياً بتعيين الفريق حابس المجالي رئيساً لاركان حرب الجيش العربي بمقتضى دستور الاتحاد .

١٥ – انزل الاسطول الاميركي السادس قواته في لبنان تلبية لطلب من رئيس الجمهورية والحكومة اللبنانية .

– اجتمع مجلس الامن الدولي بطلب من الولايات المتحـدة للبحث في الوضع الراهن في الشرق الاوسط ولبنان .

– وضع الاسطول الاميركي بالاطلسي في حالة الاستعداد .

– اعلنت الحكومة البريطانية انه نظراً للوقف في الشرق الاوسط قررت اتخاذ تدابير عسكرية احتياطية معينة .

– عاد رؤساء الدول الاسلامية باكستان وتركيا وايران الى الاجتماع مرة اخرى في انقرة لاتخاذ التدابير اللازمـة بعد وقوع الانقلاب في العراق . وأرسل الرؤساء الثلاثة برقية شكر لتدخل القوات الاميركية في لبنان .

١٦ – صرح الرئيس عبد الناصر ان نزول القوات الاميركية في لبنـان ، خطر على الشرق الاوسط وتهديد للدول العربيـة . وقال ان كل اعتداء على الجمهورية العراقيـة يعتبره اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة .

– اذاعت وكالة رويتر خبر مقتـل الملك فيصل والامير عبدالاله ونوري السعيد .

– اذاعت الحكومة السوفياتية بياناً سلمته الى الولايات المتحدة تدعوها فيـه الى وقف تدخلها في الشؤون الداخلية للبلدان العربيـة والى سحب قواتها من لبنان فوراً ، وقالت انها تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ الاجراءات اللازمـة للمحافظة على السلام والامن .

– بدأت طائرات تحمـل قوات مظلية اميركية تتوالى الى تركيا . كما شرعت المحطات الأميركية الكندية في شمال كندا والمعـدة للدفاع عن اميركا الشمالية في العمل .

– اعترفت اليمن والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية بالجمهورية العراقية .

طبعت في
دار مجلة شعر
شارع فينيقيا – تلفون ٤٣٠٤٤ – ص ب ٣٢٢٢ – بيروت لبنان